وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية الاداب

الانفلات السلوكي (الفرهود) ظاهرة تكراره في المجتمع العراقي

دراسة تحليلية

رسالة تقدم بها الطالب
حسين علي قيس محمد القيسي
إلى مجلس كلية الاداب – جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة
الماجستير اداب في علم الاجتماع

بأشراف الأستاذة الدكتورة
فتحية عبد الغني الجميلي

١٤٢٦هـ ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ "

صدق الله العظيم

إبراهيم / ٤٢

الإهداء

إلى وطني الغالي العراق ...

إلى والدي رحمه الله ...

إلى والدتي أطال الله عمرها...

إلى مرتضى و خلود و عهود ومن اعانني في شدتي

إلى شموع حياتي
علي & زهراء

حسين

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي أمدني بسبل التواصل كافة وأعانني بالصبر والثبات الحمد والشكر لله الذي منحني القدرة على حمده وشكره ، الحمد والشكر لله على فضائله ونعمائه التي لا تعد ولا تحصى ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم خلقه {محمد} المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ... لابد لي وأنا في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الوافر للأستاذة الدكتورة فتحية عبد الغني الجميلي التي أشرفت على هذه الرسالة وأغنتها بآرائها السديدة وتوجيهاتها البناءة فجزاها الله عني كل خير وأمدَّ بعمرها ذخراً لنا واود ان اشكر اساتذة قسم الاجتماع واخص منهم بالذكر الدكتور صبيح شهاب حمد لمساعته لي خلال السنة التحضرية واشكر الاستاذة الدكتورة جنان عبد الجليل الهموندي من المعهد العالي للدرسات الدولية لمراجعتها فصل البعد التاريخي لظاهرة الفرهود كما اشكر مديرة مكتبة المجمع العلمي العراقي الاخت جوان ابراهيم والموظفات حمدية ، ودينا وزينب ، لما قدموه لي من مساعدة في المقابلات التي اجريتها مع موظفي المجمع لما قدموه لي من المصادر التي استعنت بها والتي ذكرتها في الرسالة والاخت كافي ضاري و مسار في المكتبة المركزية للجامعة المستنصرية ومدير ادارة المكتبة الوطنية لما قدموه لي من مساعدة في التحدث معهم عن الايام الاولى لسرقة المكتبة الوطنية كذلك الاخت فائزة عبد اللطيف من دار الشؤون الثقافية التي ساعدتني في اجراء المقابلات مع موظفي تللك الدار كما اقدم الشكر الى مدير المكتبة المركزية لجامعة بغداد الذي زودني بالمعلومات للكشف عما سرق عقب سقوط النظام في العراق وكذلك الانسة ايمان في مكتبة قسم الاجتماع ، كل هؤلاء كان لهم الفضل في أغناء الدراسة بما يتناسب مع اهدافها كما لا يسعني الا ان اقدم الشكر الى من اعانوني في قسم الاجتماع واخص بالذكر منهم د . سلام العبادي و د. نبيل نعمان ، وكذلك د. فليح الركابي لمراجعته اللغوية القيمة للرسالة وختاما لا انسى اهل بيتي (مازن ، حسام الانصاري ، فتيان الراوي ، منال انعام بشرى ، قاسم) الذين بذلوا كل ما بوسعهم لمساعدتي في الدراسة ادعو من الله العلي القدير ان اوفق في هذة الدراسة لخدمة وطني العراق .

اقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ الانفلات السلوكي (الفرهود) ظاهرة تكراره في المجتمع العراقي – دراسة تحليلية قد تمت تحت إشرافي في كلية الآداب / جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير اداب في علم الاجتماع .

الأستاذ الدكتورة

فتحية عبد الغني الجميلي

/ / ٢٠٠٥

المشرفة على الأطروحة

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة .

الاستاذ الدكتورة ناهدة عبد الكريم حافظ

رئيس القسم

/ / ٢٠٠٥

اقرار لجنة المنافشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة إننا أطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ الانفلات السلوكي (الفرهود) ظاهرة تكراره في المجتمع العراقي – دراسة تحليلية قد ناقشنا الطالب (حسين علي قيس محمد القيسي) في محتوياتها وفيما له علاقة بها نرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير اداب في علم الاجتماع وبتقدير (جيد جدًا) .

عضو **عضو**

الأسم :د. سلام عبد علي العبادي **الاسم : د. لطيفة محمد حميد الجميلي .**

التوقيع : **التوقيع :**

٢٠٠٥/٧/١١ **٢٠٠٥/٧/١١**

رئيس اللجنة :

الأسم : د. نبيل نعمان اسماعيل

التوقيع :

٢٠٠٥/٧/١١

عضو (المشرف)

الأسم : ا . د فتحية عبد الغني الجميلي .

التوقيع :

٢٠٠٥/٧/١١

صادق مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد على قرار لجنة المناقشة .

الأستاذ الدكتور

عميد الكلية

الموضوع	الصفحة
العنوان	
الاية	أ
الاهداء	ب
شكر وتقدير	ت
المحتويات	ث – ح
الفصل الاول : الاطار العام للدراسة يتضمن	١ – ١١
المقدمة	١ – ٣
مشكلة البحث	٤ – ٥
الهدف من الدراسة	٦
الصعوبات التي واجهت الدراسة	٧ – ٨
المناهج المستخدم بالدراسة	٩
تحديد معنى الفرهود	١٠ – ١١
الفصل الثاني : الفرهود تاريخا	١٢ – ٣٤
المبحث الاول : البعد التاريخي لظاهرة الفرهود في العراق	١٣ – ٢٢
المبحث الثاني : الدراسات السابقة .	٢٤ – ٣٤
الفصل الثالث : واقع المجتمع العراقي	٣٥ – ٦٦

المبحث الاول : المجتمع العراقي قبل سقوط النظام	٣٦ – ٤٦
المبحث الثاني : المجتمع العراقي بعد سقوط النظام (مع دراسة لسرقة الارث الثقافي العراقي :	٤٧ – ٦٦
اولا : المكتبة الوطنية .	
ثانيا : المتحف الوطني للاثار .	
ثالثا : المجمع العلمي العراقي	
رابعا : دار الشؤون الثقافية .	
خامسا : المكتبة المركزية الثانية .	
الفصل الرابع يتضمن :	
المبحث الاول : دور مؤسسات المجتمع العراقي في الحد من قيام ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود)	
اولا : المؤسسة الاسرية .	
ثانيا : المؤسسة التربوية .	
ثالثا : المؤسسة الدينية .	
رابعا : المؤسسة القانونية .	
الفصل الخامس: اسباب حصول الانفلات السلوكي في العراق عقب سقوط نظامه في ٢٠٠٣/٤/٩ .	
الخلاصة	

المقترحات	
المصادر .	
العنوان بالانكليزية .	
الملخص بالانكليزية .	

الفصل الاول
الاطار العام للدراسة

الفصل الثاني
المبحث الاول
البعد التاريخي لظاهرة الفرهود

الفصل الثاني
المبحث الثاني
الدراسات السابقة

الفصل الثالث
المبحث الاول
واقع المجتمع العراقي قبل سقوط النظام

الفصل الثالث
المبحث الثاني
واقع المجتمع العراقي بعد سقوط النظام

الفصل الرابع
دور مؤسسات المجتمع في الحد من ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود)

الفصل الخامس
المبحث الاول
افكار ونظريات في علم الاجتماع والجريمة وعلم النفس الاجتماعي في تفسير حالة الانفلات السلوكي

الفصل الخامس
المبحث الثاني
وجهة نظر علمية في اسباب حصول الانفلات السلوكي (الفرهود) عقب سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ تحديدا

المصادر

المقدمة

ان الظروف السياسية التي مر بها العراق ، التي تنعكس بدورها على الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، منذ بداية تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ من حروب وأزمات كان لها تأثيرها الواضح على سلوك أفراده .

فقد لجأ بعض أفراد المجتمع الذين لا يستطيعون تحقيق أهدافهم وطموحاتهم بالوسائل المشروعة إلى اتخاذ وسائل بديلة وبطرق غير شرعية لتحقيق أهدافهم .

ان هذه الدراسة سوف تتعامل مع سلوك يكاد يكون ملازما لاي حالة من الاضطربات السياسية التي حدثت في العراق الا وهو بالانفلات السلوكي (الفرهود) ان صح القول ويمكن أن يكون هذا النوع من السلوك وقتيا يتحين الافراد الفرصة للقيام به ، فهو قد يكون سريع الظهور وسريع الاختفاء نظرا للظروف السياسية والاجتماعية التي حدثت في البلد وهذا ما سوف تقدمه الدراسة .

لقد برزت ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) في كل أزمة تكاد أن تحصل أو حصلت لكن بشاعة هذا السلوك والطرق العنيفة التي مورست اثناء ممارسته من قبل بعض افراد المجمتع اثارت اهتمام الباحث للقيام بمثل هذا النوع من الدراسة .

فقد كانت هذه الظاهرة واضحة للعيان ولا سيما بعد سقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ وبرزت إلى السطح بأوجه عنيفة متمثلة بانحراف السلوك الاجتماعي والقانوني عن القواعد التي حددها المجتمع للسلوك المقبول وبذلك يكون هذا النوع من السلوك ليس انتهاكا للقوانين فقط وانما خروج عن القيم الاخلاقية .

فالفرهود العراقي أن جاز ذكر هذا المصطلح هو بسيط ومحدود التأثير والمدى لكنه اكثر عفوية من الفرهود الذي قام به بعض جنود المحتل من سلب و نهب لبعض موارد وممتلكات الشعب العراقي .

أن الأعمال والتصرفات الفرهودية التي أظهرها بعض أفراد المجتمع العراقي والتي رافقتها عمليات الحرق لممتلكات الدولة والقتل تفوق مقدار وحجم التخريب والدمار من الناحية المادية والمعنوية والهدر بالأرواح البشرية وذلك يكمن في حقيقة البعد الأخلاقي والسلوكي الغريب والبعيد عن القيم العربية الإسلامية التي كشفت عنها تلك الأحداث في أوساط واسعة من الشعب .

وانطلاقا من ذلك ستحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على هذه الظاهرة عن طريق التعرف على جذورها التاريخية والعوامل والاسباب المؤدية لها ومدى علاقتها بطبيعة الشخصية العراقية ، والى تحقيق ذلك فقد قسمت فصول الدراسة كما ياتي :

الفصل الأول : تضمن الإطار العام للدراسة وقد تضمن عناصر الدراسة ومكوناتها من مشكلة الدراسة وأهميتها واهدافها والمناهج المستعملة والمتمثلة في المنهج التاريخي اضافة الى تحديد معنى كلمة الفرهود في اللغة العربية واللغة الفارسية و اللغة التركية .

الفصل الثاني : تضمن هذا الفصل مبحثين المبحث الاول تحت عنوان البعد التاريخي لظاهرة الفرهود وقد تم فيه تتبع هذه الظاهرة وتحديد المرحلة ما بين دخول الاستعمار البريطاني إلى العراق سنة ١٩١٤ وانتهاءا بسنة ١٩٥٩ بالاعتماد على بعض المصادر في تاريخ العراق الحديث نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تاريخ الوزارت لعبد الرزاق الحسني و موسوعة العراق السياسية للدكتور عبد الرزاق اسود وتضمن المبحث الثاني الدراسات السابقة حول هذة الظاهرة في العراق تحديدا .

الفصل الثالث : تضمن هذا الفصل مبحثين المبحث الاول فيه تتبع لحركة المجتمع العراقي منذ تسلم حزب البعث السلطة في سنة ١٩٦٨ وانتهاء في سنة ٢٠٠٣ معتمدا على بعض المصادر القليلة التي كتبت بشان المجمتع العراقي في تلك المرحلة من تأريخه عقب سقوط النظام وقد بينت الدراسة وضع المجتمع العراقي ما بين ستينات وتسعينات القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين وما طرأء على هذا المجتمع من تأثيرات سياسية بالدرجة الأولى وبالتالي تاثيرها على الجانب الاقتصادي و الاجتماعي .

اما المبحث الثاني من هذا الفصل ففيه عرض لواقع المجتمع العراقي بعد سقوط النظام في ٩ /٢٠٠٣/٤ واستفحال ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) بشكل مثير مع الاشارة الى عمليات سرقة الارث الثقافي في العراق واخذ بعضا من محتوياته (المكتبة الوطنية ، المتحف الوطني العراقي للاثار ، المجمع العلمي العراقي ، دار الشؤون الثقافية ، المكتبة المركزية الثانية لجامعة بغداد) من خلال اجراء المقابلات مع الموظفين .

الفصل الرابع : وقد تضمن هذا الفصل مبحثين المبحث الاول منه دور ومهام مؤسسات المجتمع الأساسية فالمجتمع يتكون من مؤسسات عديدة تقوم بعملية تكوين النسيج الاجتماعي الراسخ لافرادها فهنا في هذا المبحث سنعرض هذة المؤسسات ودورها و وظيفتها في عقود السبيعينات و الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين تحديدا في المجمتع العراقي لما تتطلبة هذه الدراسة من محاولة التركيز على مسالة دور هذة المؤسسات في احداث الانفلات السلوكي (الفرهود) تحديدا عقب سقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ وما ال بعده من انهيار في مؤسسات الدولة لذلك سوف نعرض لمحة بسيطة عن وظيفة هذه المؤسسات وهل كان هناك نوع من القصور في اداء مهامها او كانت تقوم على الوجه الصحيح في الاوقات العصيبة التي مر بها المجتمع العراقي .

اما المبحث الثاني فقد وضحنا فيه بعض الفرضيات و النظريات في علم الاجتماع وعلم الجريمة و السلوك الجمعي الذي من الممكن الاستناد عليها لتفسير ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) في العراق .

الفصل الخامس : تناولنا فيه اسباب حدوث الانفلات السلوكي (الفرهود) في العراق ، وقد تم التركيز فيه على مواطن الضعف التي اعترت المجتمع العراقي ابان الحقب التاريخية التي مر بها ، وقد ساعدتنا في ذلك بعض الدراسات والبحوث التي تناولت دراسة المجتمع العراقي خلال تلك المراحل التاريخية .

مشكلة البحث

ان ظاهرة الفرهود او ما اصطلحناه بتسمية (الانفلات السلوكي)* هو عمل اجرامي له اضراره ونتائجه السلبية الاجرامية العقيمة ، ولما كان المجتمع العراقي وما يزال يمر بانقلابات وهزات سياسية متكررة ، فالانفلات السلوكي اصبح ملازما لها ، لذلك اصبحت مشكلة يعاني منها المجتمع العراقي وتحتاج الى دراسة موضوعية للاطلاع على بعض ملامح او اسباب هذا السلوك ، فكلمة (الفرهود) هي كلمة يتناولها الشخص العامي والمثقف ولها دلالات ذات معان عميقة للسلوك الانساني وللاحداث السياسية والاجتماعية في المجتمع وسوف ناتي على تعريف مفهوم (الفرهود) في الصفحات اللاحقة .

ان المجتمع العراقي عانى ويلات الحروب التي كان يدخلها وما تركته هذه الحروب من ازمات اقتصادية واجتماعية وثقافية ونفسية كان تاثيرها واضحا على شخصية الفرد العراقي من خلال السلوك الذي يسلكه ولاسيما ان القانون وسلطة الدولة قد ضعفت هيمنتها مما مهد الطرق أمام ضعاف النفوس الى نهب ممتلكات الدولة.

ومن جانب اخر نرى ان المحتل قد ساهم بشكل او باخر في تشجيع عملية الفرهود من خلال عدم منع الافراد الذين قاموا بهذا الفعل (وذلك لعرقلة النهوض بهذا البلد) فبعض من العراقيين وجدوا الابواب مفتوحة امامهم دون رقيب سلطوي او قانوني فلجأوا الى ما سمي (بالفرهود) .

وهذه الدراسة تهدف الى التعرف على ماهية الاسباب التي ساعدت على الانفلات السلوكي المؤدي الى ارتكاب (الفرهود) .

ان مثل هذا النوع من الدراسات لم تدرس الموضوع من وجه نظر علم الاجتماع تحديدا وان كل ما نشر ليس سوى مقالات وبعض البحوث البسيطة في صحف عراقية أو عربية تظهر الفرهود من جانب أعلامي خال من أي نوع من التحليل الاجتماعي .

فالفرهود أذن هو سلوك إجرامي (السرقة) يسلكه الفرد في كل أزمة تكاد تمر بالقطر اما بالنسبة (للفرهود) في العراق فالدراسة رصدت الايام الاولى لسقوط النظام

* وفقا لهذه الدراسة هي الافعال والتصرفات والممارسات الخارجة عن القيم والمعايير المتعارف عليها التي غالبا ما تتجسد بالاستحواذ على الممتلكات العامة والخاصة مصحوبا احيانا بالميل الى التخريب نتيجة غياب او ضعف وسائل الضبط الاجتماعي السائدة في المجتمع .

(٩ – ١٠ / ٤ /٢٠٠٣) وامتدت الى ايام اخرى بعد ان خلت المواقع المستهدفة من محتوياتها .

وسوف تحدد مسؤولية المؤسسات الاجتماعية (المؤسسة الأسرية والتربوية والدينية والقانونية والعسكرية) وأي منها لها التأثير في تحديد مسؤولية الفرهود وستتم المحاولة في بعض جوانب علم الاجتماع والسلوك الجمعي وربما علم الاجرام في هذا المجال الذي سوف يكون أساسا للرسالة .

الهدف من الدراسة

أن الهدف من دراسة هذه الظاهرة كما ذكرنا التعرف على الاسباب التي دعت بعض افراد المجتمع العراقي للهجوم والسيطرة على بعض ممتلكات الدولة او بعض الممتلكات التي تعود الى المسؤلين في النظام السابق ، ويصف الباحث هذا الموضوع بانه كان شاهد عيان في اثناء حدوث بعض من هذه السلوكيات ، فقد ارتأى دراستها دراسة موضوعية لانها لم تدرس دراسة اكاديمية – وهذه الدراسة قد تمهد للقيام بدراسات اخرى تتناول جوانب ربما اغفلت في دراستنا هذه .

فالانفلات السلوكي (الفرهود) ربما يكون حصوله عند حالات الاضطرابات السياسية وهذه الحالة (الفرهودية) تظهر فيه وتختفي بحسب الاضطرابات السياسية ، وذلك لغياب اجهزة الدولة ولا سيما الامنية منها ، وهذا ما حصل في قطرنا الحبيب خلال ايام السقوط الاولى للنظام السابق ، فالفوضى عمت اغلب المناطق ثم ان الحقد الدفين والكره العميق للسلطة السابقة لعب دورا في قيام (الفرهود) وسلب ممتلكاتهم الخاصة ، ثم ممتلكات النظام بصورة عامة ، والعامل النفسي هو الاخر لعب دورا في هذه العملية (الفرهودية) والدراسة ستوضح هذه الجوانب بشيء من التفصيل .

الصعوبات التي واجهت الدراسة

تواجه الدراسات في حقول العلوم الاجتماعية مجموعة من الصعوبات منها شحة المصادر العلمية ذات العلاقة بالموضوع المراد الكتابه عنه .

وهذا ما عانت منه هذه الدارسة لغياب دراسات علمية موثقة ولاسيما انها مشكلة يعاني منها المجتمع العراقي منذ قيام الدولة العباسية والعثمانية والحكم الملكي والجمهوري [*] .

اي انها ظاهرة تدرجت عبر تاريخ طويل ، لم يشر اليها ربما لخوف القائمين بها اعطاء اي سبب مهم للقيام بها او على اي جهة تكاد تحسب قيامها .

ولكن بعد سقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ بدأت تظهر بعض البحوث من قبل اساتذة علم النفس والتاريخ للكتابة عنها وحضورهم في مؤتمرات وندوات علمية

ان حجم الدمار من جراء الحرب الاخيرة [*] على العراق كان واضحا في الكثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فالمكتبات التي تمت سرقتها و حرقها في مؤسسات الدولة الثقافية (جامعة بغداد والجامعة المستنصرية والمكتبة والوطنية ومكتبة المجمع العلمي العراقي) ادت الى انعدام المصادر التي انعكست سلبا على واقع طلبة الدراسات العليا بالدرجة الاولى .

ومن جانب اخر كانت لدى الباحث الرغبة الشخصية في دراسة هذة الظاهرة التي لم تدرس في قسم الاجتماع منذ تاسيسه عام ١٩٥٣ بسبب عدم وجود المصادر ولكن ظاهرة (الفرهود) حدثت في الاعوام التالية عام ١٩٥٨ عقب سقوط النظام الملكي و ١٩٥٩ عقب ثورة الشواف في الموصل و ١٩٩٠ عندما اجتاح النظام السابق في العراق دولة الكويت .

---

[*] لمراجعة ما حصل من ظاهرة الفرهود راجع على سبيل المثال لا الحصر كتاب المنتظم في اخبار الامم والملوك لمولفه ابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، في اجزائه الثلاثة عشر في اغلبها سنوات حكم الدولة العباسية وما واجهت من حالات الاضطرابات السياسة والازمات مما كانت تساعد بشكل واخر الى القيام بالفرهود انذاك ، اما فيما يخص في حقبة سيطرة الدولة العثمانية فراجع كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث لمولفه د . علي الوردي ففي صفحاته ذكر لبعض حوادث الفرهود التي كانت تحصل ابان هذه الحقبة التاريخية وكذلك في حقبة الاحتلال البريطاني للعراق ، وفيما يخص العهد الجمهوري فراجع كتاب تاريخ الوزارت لمولفه عبد الرزاق الحسني .

[*] وهي حرب التي ابتدأت في فجر يوم ٢٠٠٣/٣/٢٠ والتي اطلق عليها النظام العراقي السابق (الحواسم) بينما اطلقت عليها قوات الائتلاف كما اطلقت عليها هذا الاسم حرب (الصدمة والفزع) .

ومن الجدير بالذكر ان وجود الدين كعامل اساسي في المجتمع العراقي قد تصدت لبعض الافراد الذين حاولوا (فرهدة) بعض المؤسسات ولا سيما المؤسسات الثقافية (المكتبات) وقد قام قسم اخر من المواطنين الغيارى بنقل موادها ولا سيما الكتب الى محلات امينة حفاظا عليها من الفرهود وورد في القران الكريم عقوبة السارق

بسم الله الرحمن الرحيم " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " صدق الله العظيم [1]

واخيرا نرجو من هذة الدراسة ان تكون بداية بسيطة في القاء الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة وتحليلها ومعرفة الظروف المؤدية اليها .

المناهج المستخدم بالدراسة

المنهج التاريخي Historical Method .

[1] سورة المائدة ، الاية (٣٩) .

وهو احد المناهج البحثية في العلوم الاجتماعية ، وذلك لان الملاحظة في الماضي لها اثرها في العلم في مكانة الملاحظة في الحاضر ، والتاريخ قبل كل شيء انما هو اختيار الحوادث الماضية والتاليف بينها وتفسيرها [١] ، ولا يمكن للباحث ان يفهم الحاضر دون الرجوع الى الماضي ، الا اذا مر بمرحلتين اساسيتين هما مرحلتي التحليل والتركيب ، فتبدأ المرحلة الاولى بجمع الوثائق والتاكد من شخصية اصحابها وتنتهي الى تحديد الحقائق التاريخية الجزئية ، ثم تبدأ المرحلة الثانية وعندئذ يحاول الباحث تصنيف هذة الحقائق والتاليف بينها [٢] ، وقد تم الاستفادة من هذا المنهج بالرجوع الى دراسة ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) في العراق منذ عام ١٩١٤ اي وقت دخول القوات البريطانية الى العراق علما ان هذة الظاهرة كانت موجودة ومنتشرة في العراق في العهد العباسي والعهد العثماني ولكن لكثرة هذة المادة أرتأينا ان نحددها منذ تلك الحقبة التاريخية ، فقد تم جمع الوثائق التاريخية التي تتحدث عن هذة الظاهرة من قريب او بعيد وتم التاكد من صحة ومصداقية المؤلفين الذين طرحوها بشكل بسيط غير موسع وتم تناولها في هذه الدراسة مع اعطاء بعضها نوعا من التحليل الاجتماعي المناسب لها .

المنهج المقارن

تم استخدام هذا المنهج في مقارنة يعض من الحوادث التاريخية التي حصل بها الفرهود عما حصل عقب سقوط النظام في العراق .

الملاحظة

تم استخدام هذه الوسيلة من وسائل جمع البيانات كون الباحث كان شاهد عيان لما حصل من انتشار واستفحال لظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) في مدينة بغداد .

اداة المقابلة

تم استخدام هذه الاداة في عمل المقابلات مع عدد من المسؤولين في المؤسسات الثقافية التي تعرضت لعلميات الفرهود في مدينة بغداد .

تحديد معنى كلمة الفرهود

أشار ابن زكريا (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) في كتابه معجم مقاييس اللغة إلى كلمة الفرهود فقد جزء الكلمة إلى جزئين الاول " :

---

[١] د. حسن ، عبد الباسط محمد ، اصول البحث الاجتماعي ، مطتبة الوهبة ، ١٩٨٢ ، ط٨ ، ص ٢٣٠ .

[٢] نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٦

فر : الفاء والراء أصول ثلاثة ، فالأول الانكشاف وما يقاربه من الكشف عن الشيء والثاني جنس من الحيوان والثالث دال على خفة وطيش [١] .

هود : الهاء والواو والدال اصل يدل على ارواد وسكون يقولون [التهويد] المشي الرويد ويقولون هود إذا نام وهود الشراب نفس الشارب إذا خثرت له نفسه [٢] ، بينما أشار ابن منظور (ت ٧١١هـ /١٣١١ م) في كتابه لسان العرب إلى ذكر اسم كلمة الفرهود بقوله " فرهد الفرهد بالضم أي الحادر الغليظ من الغلمان ابن سيده الفرهود الحادر الغليظ وهو الناعم التار ويقال غلام فلهد باللام أيضا أي ممتلئ وقيل الفرهد الناعم التار الرخص وقال إنما هو الفرهد بالفاء وضم الهاء والقاف فيه تصحيف والفرهود ولد الأسد ، او ولد الوعل او الشاة [٣] عمانية وزعم كراع أن جمع الفرهد فراهيد كما جمع هدهد على هداهيد قال ابن سيده ولا يؤمن كراع على مثل هذا إنما يؤمن عليه سيبويه وشبهه وقيل الفرهود ولد الوعل وفراهيد حي من اليمن من الأزد وفرهود أبو بطن الصحاح الفرهود حي من يحمد وهم بطن من الأزد يقال لهم الفراهيد منهم الخليل بن أحمد العروضي يقال رجل فراهيدي " [٤] .

بينما اشار السيوطي (ت٩١١هـ /١٥٠٥ م) الى الفرهود بقوله " غلام فرهود وهو المملتئ الحسن ولا يوصف به الرجل [٥]

بينما أشارت أحد المصادر الحديثة الى إعطاء معنى لكلمة الفرهود وهو " فرهد انتفخ يقال جرى حتى فرهد [١] .

---

[١] أبي الحسن احمد ، اعتنى به د . محمد عوض مرعب واخرون ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٧٩٣ ، باب الفاء وما بعدها في المضاعف والمطابق .

[٢] م ، ن ، ص ١٠١٨ ، باب الهاء والواو وما يماثلها .

[٣] اسمائنا ومعانيها في الساحة الادبية ، مقالة منشور عبر الانترنت على الموقع http://www.alsaha.com .

[٤] ج ٣ ، بيروت ، ص ٣٣٥ ؛ الساحة الأدبية ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.alsaha.com .

[٥] جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، المزهر في علوم اللغة وانواعها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ ط١ ، تحقيق فؤاد على منصور . ص ١٣٤ .

[١] وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، بيروت ، مج ٧ ، ط٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٦٦ .

الفرهود باللغة الفارسية

ذكرت كلمة الفرهود في اللغة الفارسية بمعنى " الرجل الممتلئ او الرجل النازك مملوء اللحم او ابن الاسد او الطفل المملوء ذو وجه جميل او صغير الماعز الجبلي [٢]

الفرهود باللغة التركية

لم اجد كلمة الفرهود في اللغة التركية ولكن وجدت كلمة مشابه لها وهي كلمة فرهوندة ومعناه السعادة او ايام العيش السعيدة الرغيد او اعياد العشق [٣]

الى هذا التفسير اللغوي لكلمة الفرهود لم نقرأ عن تقارب بينها وبين ما قام به بعض من أفراد المجتمع العراقي عقب سقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ فمن أين جاء هذا الاسم وارتبط بهذا الفعل أو هذه الظاهر المشينة التي بدأت تلازم أفراد المجتمع العراقي، اعتقد ان كلمة الفرهود من الفارسية بناه القائم هو الرجل الممتلئ فالفرهدة العراقية او الشخص اصبح ممتلئ ماديا ، واما في التركية فالامتلاء المادي يرمز الى ايام العيش السعيد لذا من الممكن ان الفرهود العراقي قد اخذ من هذه التعاريف .

التعريف الاجرائي للفرهود

الاستحواذ على اموال الناس بغير حق (السرقة) ، وتحليل ما هو محرم شرعا وقانونا وذلك بغياب اجهزة القانون وقد يكون مصحوبا بحالة من العنف والتوتر في اثناء القيام به .

---

[٢] دهخدا ، علي اكبر ، لغة نامة ، طهران ١٣٢٥ شمسي فلرسي ، باللغة الفارسية ، حرف الفاء ص ٢٢٩ .

[٣] القاموس تركي – تركي ، وزارة التربية والتعليم ، انقرة ، ١٩٩٥ ، ص ٩٠٩ .

ان بطون كتب التاريخ تبين لنا كيف كان المجتمع العراقي يعيش حالة من التوتر وجور الاضطهاد من السلطة الحاكمة ، ففي العصر الاموي كان العراق موطن المعارضة للدولة الاموية وتوالت الثورات فيه مما جعل الولاة يضيقون عليه الخناق ويضطهدونه حتى جاء العصر العباسي فشهدت بدايته حالة من الاستقرار وما ان وصل الامر الى عهد المامون والمعتصم والواثق انشغل المجتمع العراقي في جدال عقائدي حيث سيطر المعتزلة على الفكر العراقي ، وتمكن الاضطهاد منهم تلو الاضطهاد من رجال السلطة ، وما ان انتقلنا الى العصر العثماني حتى شهد صراع الفرس والاتراك على حكم العراق فكانت الصورة اشد قسوة كلما تغلبت فئة حكمت العراق [١] كلما ذاق اهله الهوان .

بعد هذة المقدمة البسيطة عن تاريخ العراق وما مر به من حالة التوتر والاضطرابات السياسية التي كانت تنعكس افعالها على افراد المجتمع العراقي تنتقل الى استفحال ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) فالعراق بلد غالبًا ما تسوده النزعة العشائرية بقيمها البدوية والتي من شانها أن تؤدي إلى بغض الشعب للحكومة والنفرة منها وضعف التعاون معها او انعدامها وهذه الفجوة غالبا ما تؤدي إلى خلق الأزمات والمشاعر النفسية السلبية التي ساعدت على الانفلات السلوكي عندما ضعفت الدولة العثمانية ولا ننكر أن هنالك أقطارا كانت اشد بداوة من العراق كنجد والحجاز واليمن لكنها لم تكن تابعة للدولة ألا اسميا إذ انها كانت تحكم نفسها على طريقة المشيخات والإمارات المحلية لكنه لم تحدث تلك الظاهرة فيها ، أما العراق فمشكلته انه كان عشائريا ومحكوما في آن واحد [٢] وكانت الفجوة بين الشعب والحكومة تتخذ مظاهر شتى وتؤدي إلى كثير من المأسي والأزمات [٣] .

---

[١] الحاكم والمحكوم في العراق ، مقال منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http: //www.alwaten.com .

[٢] د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

[٣] نفس المصدر السابق ، ص ٩١ .

ولتتبع ظاهرة الفرهود يجدر بنا ان نعود الى الاوضاع السياسية عند احتلال العراق من قبل بريطانيا التي رأت أن هناك تهديدا لمصالحها السياسية والعسكرية .

ففي ٥ / ١١ / ١٩١٤ اصدر برسي كوكس * بيانه الأول إلى أبناء البصرة * وكان البيان فيه لهجة اسف بالظاهر ولكنها في الخفاء لهجة استعمار الغرض منها السيطرة على الطرق البحرية في تلك المنطقة ، بعد احتلالها عقب معركة كوت الزين * ولم يكد غوغاء * البلدة وأبناء العشائر القريبة من البصرة يسمعون بنبا سقوط البصرة حتى تهافتوا على مخازن الكمرك ودوائر الدولة ينهبونها ويشعلون [١] النار فيها وأصبحت البلدة كلها في خطر إذا أن من طبيعة الغوغاء انهم لا يقفون عند حد في اندفاعهم ، فهم بعد انتهائهم من نهب أملاك الحكومة يتجهون إلى نهب الأسواق ثم البيوت ، وقد يعمدون بعد ذلك إلى القتل وانتهاك الحرمات [٢] .

---

* مندوب الحكومة البريطانية السامي في العراق ، كان رجلا هادئا حليما ليناً ، ولمزيد من التفاصيل انظر د. الوردي ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٥ ، القسم الأول ، ص ٢٠٩ – ٢٦٠ .

* نص البيان هو " يجب أن لا يخفى عليكم بان حكومة بريطانيا العظمى قد اضطرت مع شديد الأسف إلى الدخول في حالة حرب مع تركيا بسبب أعمالها العدوانية المستمرة ضد بلادنا بلا مبرر بل بدافع تحريض حكومة ألمانيا لها غايات تريد تحقيقها من ذلك فاضطرت الحكومة حينذاك أن ترسل قوة إلى شط العرب لحماية تجارتها وأصدقائها واخراج الجيوش التركية من هذه المنطقة ، ولكن المعلومات لدى الجميع بأنه ليست للحكومة البريطانية أية خصومة مع العرب سكان شواطئ الأنهار طالما اظهروا لنا المولاة ولم يحموا الجنود الأتراك ولم يتجولوا حاملين السلاح فلا خوف عليهم ولا على ممتلكاتهم منا ، وعلى كل فأننا ننذرهم بكل صراحة ووضوح بوجوب عدم حمل السلاح إذ أن ذلك سيؤدي إلى عدم تمييزنا بينهم وبين العدو وسيكون الذي يتجول بالسلاح معرضا لاطلاق النار عليهم " . " اسود عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦ ، مج ٢ ، ص ٣٣ ، ففي البيان كما هو واضح لهجة أسف بالظاهر ولكنها في الخفاء لهجة استعمار والسيطرة على الطرق البحرية في تلك الفترة

* معركة حدثت على شط العرب بين الاتراك والقوات الانكليزية وكان لها الاثر الفاصل في سقوط البصرة بيد الانكليز ، ياسين ، باقر ، تاريخ العنف الدموي في العراق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص ٢٧٥ .

* الغوغاء هم جماعة من الأفراد يتصرفون بطريقة عدوانية لمقاومة من يعترضنهم أو القيام بعمل غير مشروع وذلك بتأثير الإثارة العاطفية مثل المظاهرات والاظطرابات العنصرية ، د . بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العوم الاجتماعية ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٧٠ .

[١] د، الوردي ، لمحات ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛ العزاوي ، عباس ، العراق بين احتلاليين ، ج ٨ ، ص ٢٦٢ ؛ ياسين باقر ، العنف الدموي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٦

[٢] د. الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ١١٩ .

والمعروف عن بعض العشائر التي شاركت في معركة الشعيبة أنها لم تكن تلمح بوادر الهزيمة من جانب الأتراك حتى انثالت عليهم نهبا وقتلا [١]

وفي نهاية سنة ١٩١٤ ما أن وصلت أخبار سقوط البصرة بيد الإنكليز إلى الشطرة حتى هاجمت العشائر في الشطرة السراي وثكنة الجنود ودور الحكومة ونهبت ما فيها كما انتزعت البنادق من أيدي الجنود وقد قتلت الجموع في البلدة نفرا ممن كان يتظاهر بتايد الحكومة العثمانية [٢] وهذه ردود افعال جزء سياسة السلطة الحاكمة .

ولم يطل المقام بقوات الاحتلال في البصرة اذ تقرر الزحف نحو القرنة في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ [٣] .

وقد واجه الإنكليز مشكلة هي أن أبناء العشائر المحيطة بالقرنة اخذوا يحاولون نهب المعسكر الإنكليزي بشتى الطرق فكان الفرد منهم يجازف بحياته فيدخل المعسكر زاحفا تحت الاسلاك الشائكة من اجل أن يسرق شيئا ولو كان تافها [٤]

أن مثل هذه الأحداث ما هي ألا نتيجة للفجوة التي انتهجتها الحكومة العثمانية تجاه أفراد الشعب العراقي والتمسك بالقيم البدوية من قبل أفراد المجتمع العراقي .

لقد توالى بعد ذلك الزحف البريطاني إلى داخل العراق ففي ٤ حزيران سنة ١٩١٥ وصل طاوزند * إلى العمارة وبعدها في ٢٥ تموز ١٩١٥ تم احتلال الناصرية وفي ٢٩ أيلول ١٩١٥ تم احتلال الكوت من قبل طاوزند [٥].

---

[١] د. الوردي ، علي حسين ، امحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ١٨١ .

[٢] نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٦– ٢٤٧ ؛ ياسين ، باقر ، العنف الدموي في العراق ، مصدر سبق ذكره ص ٢٧٧ .

[٣] د. اسود ، عبد الرزاق ، الموسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٢ ، ص ٣٦ .

[٤] د . الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .

* قائد بريطاني خاض معارك الزحف إلى بغداد ، لكنه فشل في الزحف فعاد إلى الكوت ، اسود ، عبد الرزاق موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٤ ، ص ٢٨٣ .

[٥] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ .

لقد كان للانتصارات الإنكليزية المتوالية تأثير مهم في سلوك العشائر العراقية ، فقد صارت هذه العشائر واثقة كل الوثوق بان [١] الأتراك لا يرجى لهم خير وان الإنكليز غالبون دائما أن هذه الفكرة التي سيطرت على أذهان العشائر وجعلتهم يستهينون بالحكومة التركية ويحاولون نهب جنودها بكل وسيلة تقع في أيديهم [٢] .

والواقع أن أفراد العشائر لم يقتصر نهبهم على الجنود الأتراك فقط بل تعداهم إلى رجال الدين والسادة الذين كانوا يجاهدون معهم لكنهم كانوا ينهبونهم ويحترمونهم في أن واحدا [٣] ومن الممكن القول أن العشائر عندما تحمست للجهاد في البداية إنما كانت تأمل أن تفوز فيه بالنهب والغنيمة علاوة على الفوز بالجنة التي وعدهم بها رجال الدين ، ولما اتضح للعشائر أخيرا أن الجهاد لا غنيمة فيه ، وان الحكومة مغلوبة لا فائدة ترجى منها انقلبوا على أعقابهم واخذوا ينهبون كل شيء تقع علية أيدهم للتعويض عما فات [٤]

والملاحظ ان هذا قد حصل في العراق عقب سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ فقد أطلقت من مآذن الجوامع صيحات الله اكبر عقب بدء الهجوم ، وبعد سقوط النظام انقطعت الصيحات ولم تطلق لكي تحرم فرهود أموال الشعب العامة [٥]

---

[١] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٢ ، ص ١٧٩ .

[٢] د . الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ١٨٠

[٣] نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٢ – ١٨٣ " أن ما حدث في كربلاء على اثر مقتل الحسين بن علي حين اقبل رجل من أهل الكوفة على صبية من أل بيت الحسين فاخذ ينتزع خلخالها من قدمها وهو يبكي ، فلما سألته الصبية عن سبب بكائه أجاب بأنه يبكي للمصيبة التي حلت بأهل البيت ولكنه مع ذلك مضطر أن يستلب الخلخال منها قبل أن يستلبه رجل أخر " فالقصة هنا تأخذ الجانب النفسي والاجتماعي وهو البكاء على مصيبة أهل البيت والاجتماعية هو تغلغل صفة النهب لدى الشخصية البدوية رغم أن الشخص المسروق هو من أل بيت رسول الله فكيف هو الحال عندما حصل فرهود عام ٢٠٠٣ عندما سرق نفر من أبناء هذا المجتمع اغلب دوائر الدولة العراقية (المكتبات) على سبيل المثال ، فالسلوك البدوي الذي يمتاز به سلوك افراد المجتمع العراقي واضح هنا في عملية السلب والنهب (الفرهود) عقب انعدام سلطة الدولة .

[٤] د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .

[٥] شاهد عيان .

وفي سنة ١٩١٥ حدث عصيان في النجف بسبب تكاثر عدد الفارين من الجندية فيها فانتهز الغوغاء الفرصة وانهالوا على دار البلدية ودور الموظفين ومختلف دوائر الحكومة فنهبوها ومزقوا سجلاتها ثم أضرموا النار فيها ، وكانت المدرسة التي شيدها القائمقام من جملة ما نهبوه واحرقوه واتلفوا آلات البرق ، كما انثالت العشائر على أعمدة البرق الممتدة إلى الكوفة وأبو صخير فاقتلعوها [١]

وقد انتشرت حالة العصيان في بعض محافظات الفرات الأوسط في العراق مثلما حصل في محافظة النجف [٢]

وفي حصار الكوت سنة ١٩١٥ * الذي وضع أهل الكوت في مشاكل كثيرة منها مشكلة الجوع ومشاكل أخرى منها اتهام القائد البريطاني طاوزند أهل الكوت بأنهم كانوا يتفننون في سرقة مخازن الطعام العسكرية ، ويخبئون بنادقهم انتظارا لليوم الذي يثورون فيه على الإنكليز ، وقد اتخذ طاوزند إجراءات شديدة ضدهم ، فاحال أثنا عشر شخصا منهم إلى المحكمة العسكرية بتهمة السرقة والاتصال بالعدو [٣]

وفي سنة ١٩١٦ كانت الحكومة العثمانية عازمة على سوق الأشخاص المعارضين لها في سجن الديوانية بعد أن كانوا في سجن الحلة وحصل أن لحقهم جماعة من العصاة فهاجموا دار الحكومة معتمدين على ما عندهم من سلاح ، ونهبوا ما موجود فيها من

---

[١] د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٠ .

[٢] نفس المصدر السابق ، ص ١٩٩،١٩٨،١٩٦،١٩٣، ٢١٠،٢٠٩ ، والمحافظات هي كربلاء والحلة والمثنى ياسين ، باقر ، تاريخ العنف الدموي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠

* بسبب فشل البريطانيين في الحرب التي دارت بينهم وبين العثمانيين في سلمان باك في الزحف نحو بغداد للاستيلاء عليها و بسبب قلة وسائط النقل أو أنها كانت غير كافية نظر لانخفاض ماء دجلة إلى حد كبير أدت بهم إلى الانسحاب بقياد الجنرال طاونسند بقواته المنهكة إلى الكوت التي فرضت علية حصار من قبل القوات العثمانية لمدة ١٤٣ يوما انتهت باستسلام القوات البريطانية للعثمانيين ونفي قائدهم طاونسند ، د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٢ ، ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٢ ؛ العزاوي ، عباس ، العراق بين احتلالين مصدر سبق ذكره ، ج ٨ ، ص ٢٨٣ .

[٣] د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ – ٢٥٤ .

أوراق رسمية ونقود ، وسلبوا الضباط ونهبوا ما عندهم ، واخذوا أموال التجار ونهبوا أرزاق الجيش ولم يبالوا بالصدام الضعيف مع العدو [١] .

وعلى الرغم من هزيمة البريطانيين في الكوت واستسلام الجنرال طاوزند ، فقد حدث الخطى زحفا إلى بغداد مرة ثانية بقيادة ستانلي مود * فكانت بداية العمليات العسكرية في شهر أب سنة ١٩١٦ لغاية ١٩١٧/٣/١١ [٣]

وفي ليلة ١٠ آذار ١٩١٧ قبل ليلة واحدة من سقوط بغداد انتهز السجناء الفرصة في تلك الليلة فما كادوا يسمعون بانسحاب الحكومة حتى أسرعوا إلى أبواب سجونهم فحطموها ثم انطلقوا نحو الأسواق والخانات ومحلات اليهود والنصارى يكسرون أقفالها و يعيثون فيها نهبا وتخريبا ، وانضم إليهم غوغاء المدينة وضواحيها ، وبذا اخذ نطاق النهب يزداد اتساعا ساعة بعد ساعة [٣] وانتشر في محافظات أخرى [٤] .

استمرت بعد سقوط بغداد حالة من التوتر والاضطراب السياسي اتجاه أفراد المجتمع العراقي لما يحمله من أفكار اتجاه المحتل ، وتكاد تكون الصورة متشابهة مع الوضع السياسي في العراق بعد سقوط النظام السياسي في ٢٠٠٣/٤/٩ أي حالة انعدام الأمن والاستقرار وانتشار حالة من الفوضى في أغلب نشاطات الحياة التي يكون أهمها توقف سيادة القانون بسقوط النظام وعدم وجود حكومة حدث على اثرها فراغا سياسيا ادى الى هذة الحالة الفوضوية .

---

[١] العزاوي ، عباس ، العراق بين احتلالين ، مصدر سبق ذكره ، ج ٨ ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

* قائد القوات البريطانية ، والقائد للقوات العامة في العراق ، وقد نشر بيانه المشهور على العراقيين الذي جاء فيه " جئنا محررين لا فاتحين .... " بدأ الخلاف يدب بين الجنرال مود الذي يحب التسلط والاستيلاء وادارة كل الأمور بنفسه عسكرية كانت أم سياسية ، وفي مساء يوم ١٤ تشرين الثاني ١٩١٧ حضر الجنرال مود حفلة مدرسة الاليانس اليهودية ، وتناول فيها الحليب وبعد انتهائها وعند عودته إلى بيته شعر بتوعك في صحته ثم اشتد عليه المرض وبعد الفحص والمعالجة ، ظهر انه مصاب بنوع حاد من الكوليرا ، وفي مساء يوم ١٨ تشرين الثاني لفظ أنفاسه الأخيرة ودفن في مقبرة الإنكليز قرب باب المعظم ، د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٢ ، ص ٣١٥ – ٣٧٧ .

[٢] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٢ ، ص ٨٠ ، ٩١ .

[٣] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، نفس المصدر السابق ، مج ٢ ، ص ، ٢٢٧ – ٣٣٣

[٤] ياسين ، باقر ، تاريخ العنف الدموي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٨ – ص ٢٤٠ .

وفي سنة ١٩٢٠ قامت ثورة العشرين التي كانت بداياتها الأولى منذ سنة ١٩١٨ [١] والتي لقنت المحتل درسا بينت له أن في العراق مواطنين صالحين وشرفاء يدافعون عنه واستمرت الثورة لغاية قيام حكومة وطنية في ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩٢٠ [٢] برئاسة عبد الرحمن النقيب * لضمان مشاركة أهل البلاد في تسير إدارة الدولة العراقية [٣] .

وفي سنة ١٩٢١ نودي بـ الملك فيصل الأول (١٩٢١-١٩٣٣) ملكاً على العراق في ١١ تموز ١٩٢١ ، فانصرف إلى الإصلاح الداخلي بوضع الدستور للبلاد وأنشأ مجلساً للامة [٤]

وفي سنة (١٩٣٣ – ١٩٣٩) نصب غازي بن فيصل بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي ، ملكا على العراق وقد كانت مدة عهده اضطرابات وانقلابات عسكرية .

وفي سنة ١٩٣٥ قامت ثورة الرميثة الأولى في ٦ مايس حيث اعتقلت السلطات الحكومية العراقية المدعو (الشيخ احمد أسد الله) الذي كان يحرض قبائل الرميثة * على عدم احترام السلطة ، فهاجم الثوار سراي الحكومة في الرميثة في ٧ مايس وحاصروا الحامية المكونة من (٩٠) شرطيا و (١٣) موظفا مدنيا في بناية السراي

---

[١] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٢ ، ص ١٧٢ – ٣٥١ ؛ ترتبي أوراق احتلال العراق مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http:/www.alqoot.com ؛ يهود العراق مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://almoslim.net

[٢] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٤ ، ص ٤١٤ .

* هو السيد عبد الرحمن المخلص الكيلاني نقيب الأشراف الطالبيين في بغداد أب السيد علي من الأسرة الكيلانية الذي ترأس الحكومة العراقية الانتقالية التي أنشأها السير برسي كوكس في ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠م والتي دامت حتى المناداة بالأمير فيصل الأول ملكاً على العراق في ٢٣آب ١٩٢١م ، الدروبي ، إبراهيم ، البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، بغداد ، ١٩ ، ص١٠ .

[٣] الدروبي ، ابراهيم ، البغداديون اخبارهم ومجالسهم ، بغداد ، ١٩ ، ص ١٤ .

[٤] عواد ، كوركيس ، معجم المؤلفين ، بغداد ، ١٩ ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ .

* مدينة تقع شمالي مدينة السماوة وتبعد عنها ٢٥ كم انظر معلومات عن الرميثة مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.geocities.com

ونهبوا البلدة ومحطة القطار وما وجد فيها من أموال وأثاث وحبوب معدة للشحن [١]

وفي السنة نفسها قامت ثورة سوق الشيوخ ولم تكن هذه الحركة استمرارا للحركة العشائرية في الرميثة فحسب بل أنها كانت أيضا أولى التطورات المستجدة عقب تعطيل صحيفة الأهالي ..... ففي ٩ مايس ١٩٣٥ حاصرت جماعة من بني خيكان * ناحية العكيكية وقاتلوا حاميتها واستولوا على الناحية وهدموا مباني الحكومة واحرقوا السجلات ونهبوا وجردوا الحامية من السلاح ، ثم تقدموا إلى سوق الشيوخ واستولوا على المخافر بيسر وسهولة [٢] وللمدة مابين ١٩٣٦ لغاية ١٩٤١ لم تحصل حالات الفرهود على الرغم من وجود حالة الاضطراب السياسي في العراق * وفي سنة ١٩٤١ قام رشيد علي الكيلاني * بثورته * وأنها ليست بمعنى الثورة كما ذكرت أحدى المصادر التاريخية بل انها انقلاب عسكري [٣] .

---

[١] الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ الوزارات العراقية ، مطبعة دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٤ ؛ د. اسود عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٣ ، ص ١٤٠ .

* بني خيكان (خاقان) عشائر كثيرة استوطنت على الضفة الشرقية من نهر الفرات بين مدينة الناصرية وقضاء سوق الشيوخ ولها فروع عديدة في منطقة الفرات مثل الشامية والمدحتية ، وفي بغداد والاحواز وأماكن متفرقة من العراق ، العامري ، ثامر عبد الحسن ، موسوعة العشائر العراقية ط١ ، ١٩٩٣ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ج ٤ ، ص ١٥٩ .

[٢] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٠ .

* انقلاب بكر صدقي ١٩٣٦ انظر د. البراك ، فاضل ، دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٤ .

* هو زعيم ثورة مايس ، ولد ونشا في بغداد من أسرة تاريخية عريقة شهيرة تتصل بنسبها بالشيخ عبد القادر الكيلاني كانت بداياته وزيرا للعدل سنة ١٩٢٤ تدرج بالمناصب السياسية حتى تحالف مع مجموعة من الضباط القوميين لمقاومة التيار الذي مثله نوري السعيد واقامة حكومة الدفاع الوطن برئاسته ، موسوعة بيت الحكمة لاعلام العرب في القرنيين التاسع عشر والعشرين ، ج ١ ، بغداد ، العراق ، ص ١٨٣ .

* لقد تعددت الأسماء التي أطلقت على هذه الحرب من قبل الذين كتبوا أحداثها ودونوا تاريخها ، فقد سماها البعض (ثورة رشيد عالي الكيلاني) وسماها غيرهم (حركة رشيد عالي الكيلاني) وسماها آخرون (انقلاب رشيد عالي الكيلاني) وسميت من قبل البعض (حركة مايس ١٩٤١) وسميت من قبل غيرهم (ثورة مايس ١٩٤١) كما ذكرت باسم (ثورة العراق مايس ١٩٤١) واطلق عليها بعض الباحثين (ثورة الثلاثين يوما) أو (الحرب العراقية)

[٣] د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره ، مج ٤ ، ص ١١٠ .

وبمشاركة العقداء الأربعة وقسم من الجيش العراقي الموالي لهم ضد الإنكليز بل ان حماة الملكية افشلوا الحركة وتم إعدام العقداء الأربعة وهرب الكيلاني الى خارج العراق وحصلت في هذه السنة اعتداءات على اليهود العراقيين ففي يوم ٢ حزيران ١٩٤١ انسحبت قطعات الجيش من معسكر الوشاش إلى معسكر الرشيد والقلعة سالكة جسر المأمون في هذه الفترة صدرت عن بعض الشبان اليهود أعمال استفزازية موجهة ضد قطعات الجيش فتحمس فريق من الشبان المسلمين ووقعت مناوشات بين اليهود والمسلمين ثم تطورت الأمور إلى مصادمات دامية لم تكن في العاصمة حكومة مسؤولة بدأت أعمال السلب والنهب في شوارع بغداد بعد ظهر يوم أول حزيران واستمرت طوال الليل ، وفي صباح يوم ٢ حزيران من عام ١٩٤١ ازداد الموقف سواء عندما دخل رجال القبائل المدينة واشتركوا في أعمال السلب والنهب ، وسرعان ما افلت الزمام ودمر عدد كبير من دكاكين اليهود وحوانيتهم وقتل عدد من اليهود ، أما الشرطة الذين ارهقهم انهيار نظام رشيد عالي فلم يحاولوا السيطرة على الموقف [١] ، وفي سنة ١٩٥٨ قامت ثورة تموز ضد الحكم الملكي وتم اعلان قيام الجمهورية العراقية [٢] ومع قيامها هجمت جموع المدنيين إلى داخل قصر الرحاب المحترق.. وباشرت عمليات (الفرهود) في سباق مع اللهيب والنيران الآكلة..

---

[١] الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ الوازرات العراقية ، مصدر سبق ذكره ، ط ٤، ج ٦ ، ص ٢٧–٢٨ ؛ ياغي إسماعيل احمد ، حركة رشيد عالي الكيلاني _ دراسة في تطور الحركة الوطنية ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ ، ص ١٨٣ ؛ د. اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، مصدر سبق ذكره مج ٤ ، ص ١٣٣، ١٣٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ٢٢٣ ؛ معروف ، خلدون ناجي ، الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ – ١٩٥٢ الدار العربية للطباعة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ج٢ ، ص ٣٧ ؛ اتلاي ، حنان ، الفرهود مقالة منشورة عبر الانترنت على الموقع http://www .arbynet.com ؛ السماوي حسن ، مقالة بعنوان موجز تاريخ العراق الحديث منشور عبر الانترنت على الموقع. http://nahrain com. ؛ التغلغل الإسرائيلي في العراق مقال منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.aljazeera.net ؛ قصة الوجود اليهودي في العراق عبر التاريخ و دوافع عودتهم مع الغزو مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www almujtamaa-mag.com. ؛ مقالة بعنوان تاريخ اليهود في العراق منشورة عبر الإنترنت على الموقع. http://www Almoslim.net ؛. مقالة بعنوان حركة رشيد عالي منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www .thefreesite.com ؛ ياسين ، باقر ، تاريخ العنف الدموي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٣ .

[٢] الزبيدي ، ليث عبد الحسين ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، بغداد ،١٩٨١ ؛ الصفدي ، سفيان ، الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها ، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٥ ؛ moqatel.com. http://www ؛ ترتبي أوراق احتلال العراق مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http:/www.alqoot.com .

واستمرت عمليات النهب يومين متتاليين على مرأى ومسمع من الضباط الذين كانوا في الحراسة هناك وكانت عمليات نهب ما يحتويه تجري على قدم وساق.. وشوهدت اعداد كبيرة من الجنود والأهالي تخرج منه ، وهم يحملون ما استطاعوا حمله من متاع وأثاث [1] وقد حصلت حالات من النهب أيضا في دار نوري السعيد رئيس وزراء العراق في العهد الملكي وفي خلال ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كما وضح لي أحد مؤرخي تاريخ العراق الحديث * وفي سنة ١٩٥٩ قامت ثورة في مدينة الموصل وهي ثورة الشواف * وكانت في البدء تظاهرة سلمية تحتج على ما جرى في المدينة إزاء التحدي الاستفزازي الذي أظهرته بعض القوى السياسية في المدينة ، وكان هذا التجمع اكبر تظاهرة تشهدها مدينة الموصل انذاك وما لبثت التظاهرة بالتطور حتى بدا إطلاق النار عليها وبالتالي هجمت جموع هذه المظاهرة على مقاهي والمكتبات ، والاعتداء على روداها ونهبها وحرقها *.....

ولم تحصل حالة الفرهود بعد هذه الحدث على الرغم من وجود حالة الاضطرابات السياسية التي حلت بالعراق أبان تلك المرحلة [1] ، بسبب وجود حكومة وسلطة القانون .

---

[1] مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع www.arabtimes .com ؛ http://www.thefreesite.com ؛ قصر الرحاب الذي كان يسكنه الأمير عبدالإله الوصي على عرش العراق ، وقد سمي بقصر النهاية لأنه شهد نهاية العهد الملكي في ١٩٥٨ ، إذ قتل فيه الملك فيصل الثاني وخاله عبد الإله وجدته الملكة نفيسة (ام عبدالإله) وبعض الأميرات ، الحبوبي ، احمد ، ليلة الهرير في قصر النهاية مقال منشور عبر الانترنت على الموقع www.iraq4 .all.dk

* لم لجد توثيق على حالة الفرهود لمنزل نوري السعيد الواقع في منطقة الكرادة على نهر دجلة مما حدى بي إلى مقابلة مع الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ، حول مسالة حالات النهب عقب سقوط النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ ؛ ولمزيد من المعلومات عن ثورة ١٩٥٨ في العراق انظر : مقالة بعنوان ثورة ١٩٥٨ في العراق عبر الإنترنت على الموقع http://www .moqatel.com ؛ ثورة تموز ١٩٥٨ وانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ مقالة عبر الإنترنت على الموقع http:// www.nahrain.com .

* ثورة الشواف وهي محاولة انقلابية على ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ قادها العقيد عبد الوهاب الشواف في ٨ اذار ١٩٥٩ في الموصل وقد فشلت وقتل الشوف خلال الانقلاب وحوكم عدد من الضباط الذين شاركوا في الانقلاب وتم اعدام بعض منهم ، الحمداني ، حامد ، ثورة ١٤ تموز ١٩٨٥ مقال منشور عبر الانترنت على الموقع www.iraqiwriter.com .

* ولمزيد من تفاصيل ثورة الشواف انظر : موسوعة الموصل الحضارية ، مجموعة من الباحثين ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٩٢ ، مج ٥ ، ص ١٠٩ – ١١٠ ؛ الهموندي ، عبد الستار ، مجازر الدم في الموصل ، د . ت ، ص ١٢٦ – ١٣٥ ؛ http://nahrain.com .

[1] ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ ، ترتبي أوراق احتلال العراق مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http:/www.alqoot.com ؛ ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ، السماوي ، حسن ، موجز تاريخ العراق ، مقالة منشورة على

والملاحظ أن وفي الكثير من مناطق العراق حصلت الكثير من الانتفاضات والثورات تحديدا في بداية القرن العشرين ولم تحصل حالات (الفرهود) بالرغم من خطورة هذه الاضطرابات وقسوتها و طريقة معاملة القائمين بها وموقف السلطة الحكومية منها انذاك .

وحالة انعدام ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) في هذه الانتفاضات ترجع الى أراء مختلفة منها أن تكون سلطة الحكومة وسطوتها السبب الكافي لأحداث السيطرة المركزية على الوضع خلال الاضطراب أو لتأزم الموقف السياسي في كل من هذه الأحداث ذلك مما أدى إلى عدم حصول الفرهود أو لان الفرهود في بدايته يكون عشوائيا وربما ينتظم بعدها من قبل جهات لها علاقة للقيام به لأغراضها التي تستفيد منها أو لمحدودية الاضطراب أي وقوعه في منطقة معينة او قد تكون بعض حالات الفرهود التي مرت في السطور السابقة هي كانت رد فعل للمحتل أو ضد النظام السياسي ، وهذ حالة يمكن ان تطلق على العراق ولكن القسم الاكبر من حالات الفرهود سببها الحرمان المادي الذي مر به غالبية المجتمع العراقي والعوز الاقتصادي ثم الحالة الانتقامية من الانظمة الحاكمة على العراق .

الإنترنت على الموقع http://nahrain.com ، الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت لمدة ثمان سنوات من سنة ١٩٨٠ لغاية ١٩٨٨ والتي لحقت بالدمار بالمجتمع العراقي من حيث عدد القتلى من شهداء الحرب و بمنشات النفط والخسائر الاقتصادية الأخرى والتي انفق بها العراق على الأقل مائة بليون دولار ، بيانات اقتصادية مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.moqatel.com ؛ ثورة سنة ١٩٢٠ ، الانتفاضة الشعبية ضد إقرار معاهدة سنة ١٩٢٢ .

الدراسة الاولى

سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي [بغداد – ٩ نيسان نموذجا] للدكتور قاسم حسين صالح أستاذ الشخصية في كلية الاداب جامعة بغداد ، لقد وضحت هذه الدراسة الجوانب النفسية في قيام ظاهرة الفرهود فقد تحدثت هذه الدراسة في بدايتها عن طبيعة نظريات السلوك الجمعي وما لها من أهمية في مثل هذا النوع من البحوث فقد ذكر الباحث عددا من هذه النظريات كنظرية (القيمة المضافة) للعالم الأمريكي نيل سملسر الذي حاول تفسير السلوك الجمعي كونه نوعا من الاضطراب الشعبي يتصف بالسلوك الغوغائي العنيف ، ونظرية غوستاف لوبون التي اسماها نظرية مجهولية الاسم (Anonymity) التي تفيد بان نزوع الجماعة إلى القيام بأعمال طائشة يظهر نتيجة لاختفاء هوية الفرد الشخصية داخل الجماعة وقد اعتقد لوبون أن الشخصية الواعية تتراجع ويتولى (اللاوعي الجمعي) توجيه السلوك ، أما عن نظرة عالم التحليل النفسي فرويد الذي قال أن وجودنا في جمع من الناس يسمح لأنماط من السلوك التي تكتب في العادة بالانطلاق من عقالها ، بينما أكد عالم أخر اسمه براون في تفسير الأسباب التي تقلب الناس العاديين إلى نهابين ومخربين ومن أهم الأنواع التي أوجزها الباحث عن لسان هذا العالم هي :

١- الخارجون عن القانون وهم أشخاص مندفعون ذوو سجل إجرامي .

٢- متقلبون للإيحاء وهم الذين يتأثرون بسهولة القيادة المندفعة .

٣- الحذرون ويمثلون الفئة الراغبة فعلا في القيام بالسلوك التخريبي .

٤- المنساقون وهم أناس يسهل إقناعهم بان الجميع يمارسون عملا ما فينساقون أليه .

٥- المشجعون وهؤلاء لا يمكن أن تسوقها الجموع معها لكنها لا تعارض .

وبعد هذه المقدمة البسيطة للباحث أشار إلى ما حدث في العراق اذ كانت له أسباب وإيقاعات أخرى ليس كون الفرهود ظاهرة لكن ما كان يتوقع أن تكون بهذا الحجم من بشاعة الاغتصاب للملكية العامة و لانها تشكل اخطر مشكلة اجتماعية وتربوية وأخلاقية وامنية ، أن القائمين بالفرهود منتشرون ألان بين الناس وانهم أو معظمهم (ظهروا) من فئات معدومة (حراس ، زبالون ، لصوص مجرمون .....) مجموعة تقع في قاعدة الهرم الاقتصادي للمجتمع العراقي تحاول الارتقاء إلى قمته أو قريبا من القمة وقد وضحت

الدراسة الأسباب في قيام الفرهود في العراق في ٩/ ٤ / ٢٠٠٣ بعد انهيار النظام في العراق فقد أكد الباحث مسالة مهمة وهي القيمة (Value) كونها معيارا أساسيا يعمل بوصفه موجها للسلوك وتشكل القيم المركزية محور معظم معتقداتنا واتجاهاتنا وسلوكنا نحو الأشخاص والأحداث والممتلكات ، ونفرز في ضوئها ما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه وما هو صحيح وخاطئ وان الإنسان لا يرث القيم عبر الجينات إنما يكتسبها من مصادر اجتماعية وهي :

١- الأسرة .

٢- المدرسة .

٣- الثقافة الفرعية والمتمثلة بالحي السكني .

٤- الأقران .

٥- وسائل الأعلام .

٦- الجامع أو الكنيسة

وعلى هذا الأساس قسم الباحث المجتمع العراقي في هذا البحث على منظموتين قيمتين مختلفتين هما :

١- المولودون قبل عام ١٩٧٠ .

٢- المولودون بعد عام ١٩٧٠ .

وقد اختار الباحث اثنين من المصادر الاجتماعية التي يتعلم منها الفرد أمور حياته والتي تعد الأكثر تأثيرا وأهمية في حياة كل إنسان وهما (الأسرة ، المدرسة) .

الجيل الأول المولود قبل عام ١٩٧٠ :

بالنسبة إلى الأسرة في المجتمع العراقي كما هي في المجتمع العربي انذاك نواة التنظيم الاجتماعية والاقتصادي وكانت هي المصدر الأول والاهم في زرع بذور القيم في نفوس الأطفال وهي التي تبني الأسس الأخلاقية لشخصية الطفل وتضع اللبنات الأولى في تحديد مسار سلوكه مستقبلا ولهذا كانت الأولوية للقيم الأسرية التي ركزت على الطاعة والامتثال كما تريده الأسرة التي كانت تؤكد التعاون والتضحية والتزام والتماسك الداخلي والبساطة في العيش والتعفف وتحمل المشاق والحشمة والتعقل ، لقد كانت الأسرة قبل سنة

١٩٧٠ ملتزمة بالدين فأنها كانت تعلم الناشئة معنى الحرام وكانت الأسرة متمسكة بقيم العشيرة وفي مقدمتها الشرف والكرم والشجاعة .

وكان (الديوان) في الريف العراقي عبارة عن مدرسة يتعلم فيها المراهقون والشباب القيم العربية الأصيلة ، أما فيما يخص تأثير المدرسة لهذا الجيل فكان المصدر الثاني في تشكيل المنظومات القيمية لدى الناشئة حيث كانت المناهج المدرسية تقوم بتعزيز القيم الإيجابية التي غرستها الأسرة في ناشئتها وغرس قيم إيجابية جديدة ولا سيما في الأخلاق والسلوك المهذب وكان المعلم يحظى بالاحترام من تلاميذه وينظر أليه بمنظور القدوة والأنموذج ، وكان الفلاح يحسد المعلم ليس فقط لانه (أفندي) ومهذب وأنيق بل ولانه يتمتع بمكانة اقتصادية مرموقة بنظرهم هذا يعني أن المدرسة بوصفها مؤسسة تربوية .

الجيل الثاني المولود بعد عام ١٩٧٠ :

لقد ضعف دور الأسرة بوصفها المصدر الأول والاهم في تشكيل المنظومات القيمية للناشئة بعد أن عمل النظام على اختراقها بوسائل متعددة ومن بين هذه الأساليب إقناع أو أغراء أو إجبار رب الأسرة على الانضمام إلى حزب البعث الذي انفرد بالسلطة ونجم عن ذلك أن تكون صورة الأب ومفهوم الأسرة بالتبعية المتشكلة في أذهان الناشئة تغيرت بالموازنة مع مثيلتها لدى ناشئة الجيل الأول ، فقد ترتب على الأب (البعثي) أن يتصرف مع أفراد أسرته في واحد أو اكثر من الأتي :

١- في التوكيد على تعليمات الحزب ووجوب أن يطيع أفراد الأسرة كافة ما يأمر به الحزب ، فالأب هنا مارس سلطتين في أن واحد فضلا عن ارتداء الأب الزي العسكري إلى جانبه سلاحه الذي لا يفارقه على حساب صورة الأب الذي يتصف بالرعاية والتوجيه التربوي فتكونت هاتان الصورتان في لاوعي الناشئة فنجم عن ذلك وجود ممارسات من العنف والعدوان أن اقتضى الأمر .

٢- طلب الأب من أفراد أسرته مسايرة ما يأمر به الحزب حفاظا على سلامته وسلامتهم فنجم عن ذلك أن شكل أفراد هذه الأسرة والناشئة صورة عن هذا الأب تتصف أما بالشفقة أو التمرد عليه .

٣- تكليف الأب (البعثي) أو أحد أفراد أسرته من البعثين بان يكون عينا على أسرته أي يقوم بمهمة (رجل الأمن) عليها فانعدمت الثقة وساد الشك بين أفراد الأسرة الواحدة واستغلت الخلافات الأسرية بإلصاق تهم عدم الولاء (للحزب والثورة) .

أما بالنسبة إلى المدرسة في منتصف سبعينيات القرن العشرين فقد تم تسيسها وتوظيف مناهجها ونشاطاتهم اللاصفية لخدمة أهداف حزب البعث واعتمدت ما اصطلح على تسميته (تبعيث التعليم) أي أن يكون المعلمون والمدرسون والطلبة منتمين إلى حزب البعث أو إلى مؤسساته المهنية مثل (نقابة المعلمين ، الاتحاد الوطني لطلبة العراق) واصبحت المدرسة وبدا من ثمانينيات القرن العشرين تؤكد على قيمتين هي :

- الولاء للحزب .
- تمجيد صدام حسين .

أما في تسعينيات القرن العشرين (فترة الحصار الاقتصادي) * فقد تراجعت هيبة المدرسة وتدنت المكانة الاقتصادية للمعلم ، فقد وضحت هذه الدراسة أن (الحمال) الذي كان في ستينيات القرن العشرين في اسفل الهرم الاقتصادي للمجتمع العراقي تقدم على معلم المدرسة في مكانته الاقتصادية وان مصلح (الكهربائيات) تقدمت مكانته الاقتصادية على الأستاذ الجامعي الذي كان يتبؤ قمة الهرم الاقتصادي مع الطبيب والمهندس وانتهت هيبة المعلم أمام طلبته وفقد احترامه بينهم بعد أن شاع تعاطي الرشاوى والهدايا من الطلبة إلى المعلمين ، وخلاصة القول أن المدرسة كانت في ستينيات القرن العشرين وما قبلها تغذي الناشئة الشعور بالانتماء إلى الوطن و فيما عمدت المدرسة في سبعينيات القرن العشرين وما بعدها إلى تغليب الشعور لدى الناشئة بالانتماء إلى شخص واحد ممثلا برئيس الجمهورية حيث جعلته مساو للوطن والوجود وان بانهيار هذا الشخص ينهار الشعور بالانتماء له .

* هو فرض عقوبات من قبل الامم المتحدة على العراق بسبب غزو دولة الكويت سنة ١٩٩٠ وقد استمر لمدة ١٣ سنة ورفع بعد ذلك من قبل مجلس الامن عقب سقوط النظام السياسي ودخول القوات الامريكية الى العراق ، السماوي حسن ، موجز تاريخ العراق ، مقالة منشور عبر الانترنت على الموقع http://nahrain.com .

وقد أكد الباحث في هذه الدراسة إلى أمورا أخرى ساعدت بشكل أو أخر في حصول الفرهود وبالأخص عقب سقوط النظام السياسي في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ أو أحد الأسباب الأساسية في القيام به وهي:

١- نشوء نوع من الثقافة في المجتمع العراقي ألا وهي (ثقافة العنف) كما سماها الباحث منطلقا في تسميتة هذه إلى الظروف التي عاشها المجتمع العراقي في الحرب مع ايران وما بعدها الحصار الاقتصادي وبعدها الحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية فضلا عن تكريس النظام السياسي السابق في عرض برامج تلفزيونية * استمرت إلى ثمان سنوات تصور القتلى أشلاء متفحمة او ممزقة وهي صور من الحرب مع ايران .

٢- وجود بعض المؤشرات الاقتصادية والمتمثلة بفقدان المجتمع العراقي للمكاسب الاقتصادية التي كان يجني أو يشهد استثمار جزء كبير منها في مرحلة سبعينيات القرن العشرين لكنه في عقد ثمانينيات القرن العشرين أي في مرحلة الحرب مع ايران فقد المواطن العراقي هذه المكاسب بدعوة النظام السياسي السابق إلى التبرع بالمال والذهب للحرب ، وبعد الانتهاء من كلا الحرب التي دامت ثمان سنوات والتي أطلق الباحث عليها اسم (الحرب الكارثية) ليدخل في أخرى وهو الحصار الاقتصادي الذي نجم عنه تراكمات أثار الحربين وادى إلى انقسام المجتمع العراقي إلى فئتين متمايزتين وهما :

- فئة الجماهير المعدومة أو المعوزة اقتصاديا التي ابتلعت أو سحبت أليها الفئة الوسطى من الموظفين والمثقفين والتي عانت الجوع والفقر والعوز القاسي .
- فئة الأقلية المحدودة المرفهة اقتصاديا من المتنفذين في السلطة الذين زادهم الحصار غنى وقوة أيضا ، وهنا تظهر مسالة العوز المادي التي قد تكون أحد مسببات قيام الفرهود .

٣- المؤشرات السيكولوجية التي كانت تتصف بالأنظمة الشمولية التي يحكمها حزب واحد ، أي وجود لسان واحد وفكرة واحدة تتصف بشخصية رئيس النظام السياسي السابق والتي كانت شخصيته تسلطية ومؤثرة إعلاميا ومن المعروف أن الشخصية التسلطية

* برنامج صور من المعركة الذي كان يبثه تلفزيون الجمهورية العراقية يوميا تقريبا حتى بعد انتهاء الحرب بأكثر من عشرة سنوات .

المؤثرة تمتلك القدرة على الكلام والقابلية على الإقناع ، وان الحزب الواحد يمارس على مواطنه تقيد الحرية واعتماد أسلوب الترويض الفكري والقناة المعلوماتية الواحدة ، مصحوبة بالترغيب والتهديد المادي والنفسي .

٤- فتوى الشارع التي تقوم على معيار (الحلال والحرام) ويكون هذا المعيار محكوما بقانون في الظروف العادية ، فيما يكون محكوما بالوعي الشخصي الذاتي والضمير الأخلاقي للفرد ، في الظروف التي ينعدم فيها القانون .

٥- القوات الأمريكية وما لها من دور أساسي فيما حصل من أعمال نهب وفرهود في العراق عقب سقوط النظام السياسي ، فقد توجهت هذه القوات إلى مؤسستين في بغداد فقط لغرض حمايتها وهما (القصر الجمهوري ، وزارة النفط) وتركت المؤسسات الأخرى دون الحماية .

٦- وسائل الأعلام والقنوات الفضائية التي كانت تسعى وراء الحدث الذي فيه إثارة فقد تسارعت قناة الجزيرة وقناة أبوظبي لنقل الصورة الحية لحالات النهب والفرهود فقد عمل هذا التضخيم لهذه الأعمال وبالأخص في بغداد إلى إشاعة العدوى بين الناس اذ وقعت القنوات الفضائية والمحطات الإذاعية تحت تأثير مفاجئات الحدث والتسابق الإعلامي فيما بينها فافرز أمرين مهمين هما :

- النقل الموضوعي للحدث بالتركيز على القائمين به نفر محدود بمواصفات معينة وليس بالصيغة التي أوحى نقل الخبر بأنها تشمل عامة الناس .
- إغفال ابرز الحالات الإيجابية لغالبية الشعب العراقي الذي لم يشارك في هذه الأعمال والذين قاوموا مرتكبي أعمال النهب والفرهود ولم تركز على ذلك ألا في الأيام الأخيرة

٧ – تأخر الرادع الديني ، فقد وقف رجال الدين ضد القوات الأمريكية ووصفوها غازية ومحتلة و حرموا التعاون معها ، ولما انفلت الأمر وعمت الفوضى ، ولم يعمد رجال الدين إلى إصدار الفتاوى بتحريم أعمال النهب والفرهود ألا في وقت متأخر فيه من مستجيب في بغداد بشكل خاص .

٨- أن الذين قاموا بأعمال النهب والفرهود هم المجرمون واللصوص الذين أطلق سراحهم النظام السياسي السابق في العراق في خطوة لم يسبق لها مثيل في العالم وهي تبيض السجون ، فضلا عن الفقراء والمحرومين الذين كان معظمهم من الأحياء الفقيرة

والعسكريون من الجنود الذين قست عليهم الظروف العسكرية للبلد وأدت بهم إلى الإذلال والانهيار السريع ، ولا ننسى العناصر المخربة الموالية للنظام السياسي والتي كان لها دور رئيس هي الأخرى في تدير بعض الدوائر المهمة في الدولة لغرض حماية نفسها من انتقام الشعب منها ، بسبب الظلم الذي كانت تمارسه تجاه أفراد المجتمع العراقي وكذلك أشيع عن عراقيي الخارج الذين دخلوا مع القوات الأمريكية التي دخلت بغداد اذ عمدوا إلى التدمير والنهب لخلق حالة من الفوضى من اجل أهداف سياسية تتمثل بتعطيل أية محاولة يمكن أن تقوم بها عناصر من النظام السابق وكان وراء تلك الفوضى بعض الأيادي العربية والأجنبية التي أشيع أن عدد من العرب (الكويتيون) بشكل خاص دخلوا العراق وقاموا أو شجعوا على أعمال النهب و التدمير واشيع أيضا أن عددا من الإسرائيليين دخلوا مع قوات الائتلاف أو قبيل دخولها عن طريق الشمال وان لهم كره خاص للعراقيين ولحضارتهم وتاريخهم ، وانتقاما للسبي البابلي لليهود قاموا أو شجعوا على أعمال النهب والتدمير .

ويختم الباحث بحثه بقوله " أن هذا التحليل السايكولوجي عام لما حصل في بغداد من أعمال نهب وفرهود لدى سقوط النظام في التاسع من نيسان ، هو بالتأكيد لا يستوعب حجم ظاهرة آلمت العراقيين بمرارة واحزنتهم وادمت قلوبهم ، وستبقى في ذاكرتهم يروون لأحفادهم ما حل ببغداد الحبيبة " [1]

فالدراسة كما وضحت في سطورها ألقت اللوم في حصول الفرهود على تلك العوامل وهذا الذي حصل عقب سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ إلى جانب جملة من العوامل الاخرى والتي يمكن أدراجها بالأتي :

١- عسكرة المجتمع العراقي منذ تركز حزب البعث في السلطة في سبعينيات القرن العشرين .

٢- الحرب العراقية الإيرانية التي امتدت إلى ثمان سنوات وما خلفته من أثار حقد وانتقام من قبل ذوي الشهداء من النظام السياسي السابق .

---

[1] د. صالح ، قاسم حسين ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي (بغداد – ٩ نيسان نموذجا) بحث في الندوة العلمية الاولى لوحدة الارشاد التربوي والنفسي ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٣/١٠/١٠ غير منشور وكذلك نشر البحث بعنوان اخر في مجلة النبأ العدد ٧٥ – ٧٦ ٢/ ٢٠٠٥ ، ص ٦٥-٧٧ .

٣- الحصار الاقتصادي والعوز والحاجة بالنسبة لبعض فئات المجتمع التي حطمها الحصار مما زاد النقمة على النظام السياسي .

٤- الإفراج عن السجناء (تبيض السجون) وهو أمر لم يسبق القيام به في أي دولة عربية كانت أو أجنبية ، وان النظام السياسي بفعله هذا قام بدور فوق القانون .

٥- ضعف الولاء للوطن وكان الولاء كله لشخص رئيس النظام مما حدى بأكثر الذين قاموا بالفرهود إلى أن يقولوا انهم يسرقون أشياء حرموا منها ، متناسين أنها أموال الشعب العراقي وليست أموال رئيس النظام السياسي السابق .

فالدراسة هنا تكاد تخلو من بعض الاحصائيات التي تدعم هذا النوع من الدراسات لكن طبيعة هذة الظاهرة وسرعة مرورها في المجتمع العراقي حال من دون ان تكون هناك احصائيات حولها توضح من قام بهذا العمل ، ومن جانب اخر نرى ان هذه الدراسة هي اول محاولة في بناء قاعدة لدراسات علمية حول مدى انتشار هذة الظاهرة في المجتمع العراقي وقد ختمت هذة الدراسة بسطور تدعو طلاب قسم الاجتماع وقسم علم النفس الى الدراسة العلمية الواضحة لها في المجتمع العراقي .

وان مجال الربط مع موضوع دراستنا هو التحليل الذي قامت به هذة الدراسة لبعض فئات المجتمع العراقي وفي مراحل مختلفة تاريخيا مما اعطى فكرة للباحث في هذة السطور كيف كان الظروف التي مرت على المجتمع العراقي وكيف كان تخطيه الازمات التي مرت عليه وما زالت تمر عليه .

الدراسة الثانية

ظاهرة الفرهود – دراسة تاريخية عن النهب والسلب والتخريب في المجتمع التي قام بها الأستاذ الدكتور نوري عبد الحميد العاني أستاذ التاريخ في كلية التربية جامعة بغداد حيث ركز الباحث هنا على الجوانب التاريخية لهذه الظاهرة أي أخذ تتبعا تاريخيا بسيطا

لظاهرة السلب والنهب في المجتمع العربي قبل الإسلام والتي كانت هذه الظاهرة مألوفة عند العرب قبل الإسلام وقد مارستها القبائل ضد بعضها من اجل الانتقام والثار أضعاف الخصم ووسيلة للإثراء ، وقد نهى القران الكريم عن هذه الأفعال وانتقل الباحث بعد ذلك إلى العصر العباسي ولا سيما العصر العباسي الأخير بعد ضعف حكم العباسيين وتسلط الأقوام الأجنبية على الحكم في العراق ، ويقصد الباحث هنا سقوط بغداد على يد المغول سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ومقدار السرقات من مجلدات المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية التي حوت نحو ثمانين ألف مجلد فضلا عن المكتبات الخاصة التي لم يبق منها شيء ، وينتقل الباحث إلى العصور الحديثة في التاريخ وبالأخص تاريخ العراق منذ الحرب العالمية الأولى الذي شهد حكاما ضعافا عمدوا إلى تثبيت حكمهم عن طريق ترسيخ الفوارق الطبقية بين أبناء الشعب وتعميق الخلافات الطائفية والقومية وسلب المواطنين أرادتهم وكل حس بالانتماء إلى الوطن وان أحداث السلب والنهب والتخريب والقتل عرفت شعبيا باسم الفرهود والتي كانت تقع كلما قامت حرب أو تفجرت ثورة أو فشلت انتفاضة تمارسها فئة واسعة من السكان حيث تنهب وتسلب كل ما تصل أليه أيديهم مثلما حدث في الحرب العالمية الأولى ومرورا بثورة العشرين وأحداث السنوات ١٩٣٦ ، ١٩٤١ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٣ ، ١٩٩١ وانتهاء بسنة ٢٠٠٣ .

وانتقل الباحث في صفحات بحثه المتبقية إلى شرح مفصل ودقيق عما حصل في سنة ١٩٤١ أي كما يسمى فرهود ١٩٤١ فالأحداث السياسية في هذه السنة التي ارتبطت جميعا بشكل مباشر أو غير مباشر بعوامل سياسية داخلية وخارجية اسهم في أحداثها رجال محسوبون على السلطة وضمن أجهزتها بالتعاون مع أقاربهم وشجعتها ووجهتها قوى أجنبية تسعى لتحقيق مصالحها .

وقد أشار الباحث في تركيزه على فرهود سنة ١٩٤١ كونه كان ذا فائدة كبيرة لتذكر الناس بما شاهدوه في أحداث السنتين الأخيرتين (١٩٩١ ، ٢٠٠٣) لان أحداثهما لم تسجل ويحاول أن يقارن بين هذه الأحداث وفرهود سنة ١٩٤١ ، فأحداث سنة ٢٠٠٣ أخذت طابعا تدميريا شاملا اكثر تنظيما واوسع أهدافا مما حدث في السنوات السابقة حتى انه شمل مؤسسات الدولة بما في ذلك المراكز العلمية والمكتبات والمتاحف وحرقها ونهبها واتلاف ما فيها من أثار وسجلات ووثائق من اجل طمس تاريخ العراق وتشويهه والحط من

سمعة العراقيين إذ تمت متابعة تلك الأعمال بواسطة أجهزة الأعلام المرئية ونقلها للعالم لإظهار العراقيين وكأنهم شعب جبل على السلب والنهب والقتل وإتيان الأعمال اللاإنسانية و اللاأخلاقية .

فقد طرح الباحث فرهود سنة ١٩٤١ من خلال وصف لشهود العيان ومن خلال الوثائق العراقية الرسمية والتقارير البريطانية وشهادات بعض اليهود انذاك ليس في بغداد وانما في البصرة أيضا ولكنها كانت في بغداد أوسع وكيف كان دور الجيش الإنكليزي في التشجيع على القيام بأعمال السلب والنهب الذي شمل اليهود فقط مع توضيح الأسباب والمسؤولين عن هذه الأعمال انذاك ، وقد استعان الباحث أيضا برأي الكتاب اليهود الذين يحملون القوات البريطانية مسؤولية بعض ما جرى لعدم تدخلهم لوضع حد لتلك الأعمال عندما بلغت ذروتها ، وفي ختام البحث أعطى الباحث اوجه التشابه بين أحداث فرهود ١٩٤١ وأحداث فرهود ٢٠٠٣ ، لكن الاختلاف هو أن الفرهود الأخير كان موجها بالأساس ضد مؤسسات الدولة ودوائرها وبناها التحتية ولاسباب معروفة وفي مقدمتها الرغبة في الانتقام من حكم طويل تميز بالدكتاتورية والاستبداد والظلم الذي شمل جميع فئات الشعب واستغلال ذلك من قوى أجنبية تسعى لاضعاف العراق وتشويه صورته تحت واجهات وذرائع مختلفة فضلا عن تميزه بمشاركة بعض أفراد الهيئة الحاكمة وبعض رؤساء الدوائر وأشخاص محسوبين على السلطة إلى جانب الأكثرية التي أرادت التعبير عن مكنونها الغاضب وإحساسها بالإجحاف الذي أصابها ، كل ذلك جعل هذه الحوادث تأخذ طابعا مأساويا ما يزال قائما حتى وقتنا الحاضر [١]

تعطينا هذه الدراسة في النظرة التاريخية لظاهرة الفرهود وكيف كانت موجودة ومنتشرة عقب كل انفلات واضطراب سياسي يحصل في المجتمع العراقي ، ففي أحداث فرهود ١٩٤١ والذي حصل ضد اليهود كما تذكر الدراسة كان مدبرا من قبل بعض المنظمات الصهيونية والإنكليز لغرض تهجير اكبر قدر ممكن من اليهود العراقيين إلى إسرائيل وهنا نلاقي نوعا من التشابه عما حصل في العراق عقب سقوط نظامه في ٢٠٠٣/٤/٩ فقد كان الفرهود تحت أنظارهم ولم يعيقوا أي شخص من القيام بالسرقة (الفرهود) .

---

[١] د. العاني ، نوري عبد الحميد ، (ظاهرة الفرهود) دراسة تاريخية عن النهب والسلب والتخريب في المجتمع مقال في مجلة الحكمة ، عدد ٣٤ أيلول ، ٢٠٠٣ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ص ١٢ – ٢٩ .

يمثل هذا المبحث أهم المتغيرات السياسية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع العراقي أبان حقبة الستينات والسبيعينات والثمانينيات من القرن العشرين ففي مرحلة الستينات شهد المجتمع العراقي حالة من الفوضى السياسية و تميزت هذة المرحلة بكثرة الاظطرابات السياسية التي استهدفت مؤسسة الحكم قيادة وبرامجا وترافقت بالعنف الذي امتد من منفذي الانقلابات الى مستوى الشارع السياسي وقواه المحركة كذلك رافقها انشطار عمودي وافقي في كل المكونات الاجتماعية بين رافض ومؤيد لها مقارنة بانقلابات الثلاثينات [١] ، منتهيا بانقلاب عام ١٩٦٣ [٢] واستيلاء حزب البعث على السلطة عام ١٩٦٣ لقد اصبح هدف حكم حزب البعث البقاء في السلطة قدر المستطاع فبقيت الدولة ممثلة بنظام حكم حزب البعث وتم تحديد مسار الدولة فقد حدث تغير كبير في طبيعة الدولة ونمط تدخلها ومداه في شؤون المجتمع ، و بدأت النخب السياسية لحزب البعث التغلغل في مؤسسات الدولة واجهزتها واختلفت المواقع الرئيسة في الشؤون الإدارية والعسكرية والمنظمات الاجتماعية كانت تشغل من قبل أعضاء حزب البعث فعلى سبيل المثال لا الحصر نرى ان الترقيات في دوائر الدولة لا تعمل مثل السياقات المتبعة في الدوائر العامة أو في اي دولة في العالم ، فقد اصبح لا يحكمها اي قانون اداري مدني او عسكري للخدمة فالموظف يحصل على الترقية او درجة وظيفية أعلى ليس بسبب جهوده او سنوات خدمته بل بسبب درجته الحزبية في حزب السلطة الوحيد وبالعكس قد يحصل الموظف على عقوبة ادارية او قد يفصل من الوظيفة ليس بسبب تقصيره في اداء عمله ، بل بسبب عدم انتمائه إلى حزب البعث أو أحد أفراد عائلته أو أقاربه حتى الدرجة الرابعة لتنظيم اخر غير مرغوب به [٣] فالقانون حرم وجود حزب أخر غير حزب البعث أي لا توجد أحزاب اخرى وألا كانت العقوبة الإعدام ، وبناء عليه بات صنع القرار في يد عدد محدود من السياسيين الذين بدأو إعادة بناء المؤسسات القيادية طبقا لعلاقاتهم الشخصية

---

[١] الناصري ، عقيل ، عبد الكريم قاسم في يومه الاخير ، بيروت ، مؤسسة الدراسات العربية ، ١٩٩٩ ، ص ٦٧

[٢] السماوي ، حسن ، موسوعة النهرين ، موجز تاريخ العراق الحديث ، مقال منشور عبر الانترنت على الموقع http://nahran.com .

[٣] كاظم ، علي جواد ، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر ، دراسة تحليلية في سوسيولوجيا المؤسسة السياسية في العراق (١٩٢١-٢٠٠٣)اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ص ٢٧٩

وعلاقات القربى والولاء خصوصا للرئيس [١] فمبدأ العصبية كان واضحا في اختيار القيادات وشكلت حلقات كانت الأقرب للنظام هي من أفراد العائلة ثم العشيرة تتبعها العشائر الموالية مع التأكيد على أبناء الطائفة المذهبية التي ينتمي أليها النظام وكما هو معروف ان العصبية هي رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا ، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة [٢] .

أما في عقد السبعينات من القرن العشرين * فقد شهد المجتمع العراقي هدوءا نسبيا مقارنة بما حصل في السنوات السابقة والقادمة نظرا للاحداث المهمة التي حصلت في تلك المدة .

وفي مرحلة الثمانينات دخل العراق الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت لمدة ثمانية أعوام [٣] فالحرب لم تكن حدثا عسكريا على جبهات القتال فحسب بل كانت لها أثار مدمرة اكثر من ذلك ، فقد تسببت الحرب في تدمير المدن الحدودية ، كان على سكانها مغادرة تلك المدن ، ثم التحاق أعداد كبيرة من الشباب في القوات المسلحة مما

---

[١] د. كوجر ، عدنان ، الدولة والمجتمع ، مقالة منشورة عبر شبكة الإنترنت على الموقع http//www.freeservers.com ؛ وبخصوص علاقات القربي لرئيس النظام السياسي السابق في العراق (صدام حسين) على سبيل المثال لا الحصر فقد رشح احد افراد عائلة رئيس النظام السابق في العراق لمنصب عضو في المجلس الوطني العراقي وهو سبعاوي ابراهيم الحسن الاخ غير الشقيق وقد فاز بالممقعد كممثل عن مدينة الثورة علما انه ليس من هذة المنطقة ، انظر الحسن ، طالب ، حكومة القرية ، فصول من سلطة النازحين من ريف تكريت بيروت ، دار اور للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٩ – ٥٠ .

[٢] د. الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ، ط ٤ ، دار النشر المغربية ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥٤ .

* على سبيل المثال لا الحصر ٦/١/ ١٩٧٠ تأميم النفط من الشركات الغربية ، والذي خلق الامر وضعا يبعث الخوف الاستعماري من احراز البلد نجاحا بتحقيق قدر ما من توحيد البنية الاجتماعية العراقية وبالتالي تعويق مشروع التفكيك والتفتيت المعادي ، انظر بلقيز ، عبد الاله ، المشروع الممتنع : التفتيت في الغزوة الكولونيالية للعراق ، مقال منشور في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩١ ، السنة ٢٠٠٣ ، الشهر ٥ ، ص ٥٨ ؛ بيان ١١ آذار ١٩٧٠ القاضي باعتراف الحكومة بحقوق الأكراد واعطائهم حكم ذاتي ١٩٧٥/٣/١٥ توقيع اتفاق الجزائر بين العراق وإيران حول حقوق الملاحة في شط العرب ، موجز تاريخ العراق الحديث مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://nahrain.com .

[٣] المحطات الكبرى في عهد صدام ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقع http://www.al.watan.com تواريخ ذات دلالة ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقعhttp://www..eqxpty.com ؛ السماوي ، حسن موسوعة النهرين موجز تاريخ العراق ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقعhttp://nahrain.com .

تسبب في نقص الأيدي العاملة في دوائر الدولة انذاك وهبوط مستوى الخدمات [١] وقد قتل خلالها اكثر من مليون شخص من الجانبين [٢] .

أما الأسرة العراقية فكانت هي الأكثر تضررا في الحرب كونها حجر الأساس فيه فالأسرة العراقية خلال الحرب العراقية – الايرانية تعرضت الى عدد من المشكلات التي أعاقت أداء مهمتها الأساسية في المجتمع فمن هذة المشكلات التغير في ادوارها الاجتماعية ، وابتعاد الاب لمدة طويلة عن البيت يؤدي إلى حدوث حالة من الاختلال في التوازن العائلي الذي بدوره يؤدي الى ظهور الكثير من المشكلات [٣] وهذا ما اثبتته الدراسات التي اجريت في تلك المرحلة .

فعلى سبيل المثال لا الحصر دراسة انعام جلال الموسومة التضامن الاجتماعي في الأسرة العراقية خلال الحرب أوضحت أن نسبة ٩٢,٧ % من الامهات يعانون مشكلات في حياتهم اليومية والمتمثلة بالقيام بدور الاب الغائب عن البيت بسبب الحرب ودور الام في تربية ابناءها [٤] ، ومن المشكلات الأخرى ضعف وتوتر العلاقات الأسرية خلال الحرب وتبين ذلك من نسبة هي ٣٢,٥ غياب أو وفاة أحد الوالدين [٥] فالحرب ومن دون شك كانت إحدى الوسائل في ضعف وظائف المؤسسة الأسرية وذلك بفقدان أحد أركانها أن لم يكن الاثنان .

---

[١] الكبيسي ، احمد فرحان ، الأمن الاجتماعي في تحصين وتماسك المجتمع العراقي ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، جامعة بغداد قسم الاجتماع ، ١٩٩٥ ، ص ١٢٣؛ أمين،محمد صادق ، تداعيات المشهد العراقي صور من الداخل ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقع http://www.albayan.magazine.com

[٢] وسقط صدام ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.islamtoday.net ؛ باقر ، ياسين تاريخ العنف الدموي في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٣ .

[٣] مشكلات المراءة العراقية خلال سنين الحرب العراقية – الايرانية ودور الاتحاد العام لنساء العراق في علاجها قسم الدراسات والبحوث في الاتحاد العام لنساء العراق ١٩٩٠ ، ص ١ .

[٤] القصيري ، انعام جلال ، التضامن الاجتماعي في الاسرة العراقية خلال فترة الحرب دارسة ميدانية في مدينة بغداد ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨٨ جدول رقم ٥٠ .

[٥] نفس المصدر السابق ، ص ١٩١ ، جدول رقم ٢٥ .

ولم يتنفس العراقيون الصعداء بعد ثمان سنوات من الحرب ألا ودخلوا في حرب جديدة سحقت الكثير مما يملكه العراق من ثروات وكذلك طالت الكثير من الشباب الذين كانوا شمعة العراق المضيئة [١]

ففي التسعينات فقد قام النظام بغزو دولة الكويت وقد تم سرقة الكثير من ممتلكاتها أي كانت عملية (فرهود) عن طريق توجيه دوائر الدولة العراقية من وزارات ومؤسسات بالاستيلاء على ممتلكات الدوائر الكويتية المماثلة وجلبها الى دوائرهم فضلا عن الممتلكات الشخصية للمواطنين [٢]

وفي ١٩٩٠/٨/٦ كان قرار مجلس الأمن رقم٦٦١ قد فرض حصارا اقتصاديا كليا على العراق بحيث منعه وحرمه من تصدير النفط وباقي الصادرات الأخرى ومن بعض الأستيرادات المهمة وشمل المنع الغذاء والدواء[٣] فقد اربكت الحالة الاقتصادية وظهرت بوادر الفساد في الأسواق المحلية وتداخلت عناصر أجنبية للاستفادة من خبرات البلاد [٤]

لذلك عانى المجتمع العراقي وأفراده مشاكل عديدة الاقتصادية بالدرجة الأولى التي بدأت تنعكس على الأسرة ، فكانت حالة من ضنك العيش والإرباك المعاشي والتربوي حتى وصفت بأنها تعيش في حالة طوارئ من اجل مواجهة ضغوط الحصار الاقتصادية والاجتماعية كالارتفاع المتسارع في الأسعار مما جعل رب الأسرة يلجأ إلى عمل طويل أكثر من عشر ساعات ، كما أن كثيرا من النسوة رحن يعملن لإضافة موارد مالية لصالح الأسرة وقد ألقت اسر عديدة بأطفالها في أعمال هامشية لا يتناسب معظمها معهم جسديا و صحيا و تربويا [١] وتحت ضغط الحاجة الاقتصادية فقد خرج الأبناء للعمل في الشوارع

---

[١] د. المغترب ، حسن ، اسرقوا كل ثروات العراق لكن اتركوا لنا أطفال أصحاء ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://nahrain.com .

[٢] الغزو العراقي للكويت ، ندوة بحثية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٥ ، ص ٥٩ ؛ السماوي ، حسن موجز تاريخ العراق ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://nahrain.com .

[٣] الحصار لم يبدأ على العراق بحلول أزمة الكويت ولم ينته بعد انسحابه منه ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقع http://the-amazing.us

[٤] د. الجواهري ، عماد ، الحصارات المفروضة على العراق في التاريخ ، مقالة منشور عبر الإنترنت على الموقع http://the-amazing.us

[١] د. مهدي ، شفيق ، عنف الحصار واثره على تعليم الأطفال في العراق ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.amanjordan

او الورش وهم في سن مبكرة من اجل تامين مستلزمات الحياة اليومية وقد بينت دراسة خديجة حسن جاسم الموسومة عمل الأطفال في الشوارع دراسة ميدانية في مدينة بغداد عدم كفاية المورد المعيشي لتلبية احتياجات الاسرة بنسبة ٣٦,٨ من مجموع عينة ٣٠٠ اسرة [٢] .

وكنتيجة طبيعية لهذا لم تعد الأسرة العراقية تشعر أو تحس كثيرا بالحياة الاجتماعية المشتركة كما أنها لم تتمتع بالقيم والخصائص والمشاعر والتفاعلات الأسرية والاجتماعية [٣] وبسبب التغيرات الاجتماعية المتسارعة التي تعرض لها المجتمع العراقي ، فقد أثرت وبشكل واضح في النسق القيمي اذ اخذ النسق القيمي السائد يضعف ويحل محله نسق قيمي وافد لم يكن موجودا في وقت مضى فالازمة الاقتصادية تعمل على تهيئة مناخ اجتماعي يتم فيه تقبل حالة المخالفة للاعراف السائدة والقواعد الخلقية العامة [٤]

وهذا يمكن ان يؤثر بدوره على النمو الاجتماعي والاستقرار في حياة الأسرة ويمكن أن يفسر هذا حالات الغلظة والشدة وسرعة الغضب والعصبية في سلوك أفرادها بعد أن فقدوا الحياة الأسرية وعلاقتها بكل ما تعنيه من محبة وألفة وتعاطف وأحاسيس ومشاعر إنسانية وان تضحية أفراد الأسرة في توفير المال لمواجهة صعوبات الحياة الجديدة هو الثمن المقابل لحياة أسرية ضعيفة العلاقات لا وقت فيها للحياة الاجتماعية والأسرية المشتركة ولا شك أن الأطفال هم الأكثر تضررا بهذه الظروف ومعاناتهم هي الأصعب بسبب تأثرهم العميق وانعكاسه البالغ على شخصيتهم وإذا كانت الأسرة العراقية ما تزال ، بحاجة مادية فهي كذلك تفتقر إلى العاطفة الأسرية والعلاقات الحميمة مع حاجات الأطفال على أساس الأطفال أولا فإن هذا ينطبق على الحاجة المادية في حين أن الضرر الأخر

---

[٢] المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، عمل الاطفال في الشوارع دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠١ جدول رقم ٢٢ .

[٣] د. الجواهري ، عماد ، الحصارات المفروضة على العراق في التاريخ ، مقالة منشور عبر الإنترنت على الموقع مصدر سبق ذكره

[٤] حسن ، محمود شمال ، النسق القيمي وخطاب الازمة الاقتصادية ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٨ ، السنة ٢٠٠٣ ، الشهر ١٢ ، ص ٢٦ ، ٣٠ .

المهم أيضا هو الحاجة إلى العاطفة الأسرية وعلاقتها الحميمة وهو ما يجب الاهتمام به والتوعية بأبعاده من أجل طفولة أسرية اجتماعية طبيعية [1]

وفي ١٦ –١٧ /١/١٩٩١ كان المجتمع العراقي يعيش أعلى حالات التوتر والقلق حيث سبقت عملية القصف الجوي حملة إعلامية من قبل الولايات المتحدة الامريكية واسعة الهدف منها أضعاف الحالة المعنوية وغرس حالة الإحباط بدلا من حالة التفاؤل وجعل المواطن يتصرف بشكل يؤدي به إلى ضعف قدرة العراق العسكرية والاقتصادية والسياسية ، وهذا مما سبب في إرباك التوازن النفسي في أن يتصرف البعض بشكل عشوائي فهو يعمل على أيجاد غرف أمينة داخل بيته ، ويذهب إلى الأسواق ليشتري ويكدس مشترياته ولا سيما المواد الغذائية ويخزن مواد الوقود ، ويشاهد التلفاز ويستمع إلى الإذاعات الأجنبية وفي فجر يوم ١٩٩١/١/١٧ كانت عوائل محافظة بغداد تتوجه نحو مختلف الاتجاهات بحثا عن الأمان والحماية من القصف الشديد ، أن إثارة أعصاب ومشاعر الشعب العراقي والجيش العراقي لما ادى إلى مواجهة بالعنف بين الشعب والجيش من ناحية وبين القيادة السياسية من ناحية أخرى وهنا بدا الامتحان لمؤسسات المجتمع ولوسائل الضبط الاجتماعي حيث توقفت غالبية مؤسسات المجتمع عن العمل وبدأت وسائل الضبط تفقد فاعليتها نظرا لتعطيل آليات عملها بفعل ظروف القصف والحرب ، حيث طغت الاندفاعية والعشوائية على السلوك وهي حالة اعتيادية أمام شدة القصف الذي لم يعهد من قبل ، فقد كان سلوك الأفراد ناتجا عن الذعر وانعكس في الهرب ولا سيما الهرب من بغداد كونها مستهدفة اكثر من غيرها وما أن أعلن وقف القتال حتى اشتعلت في العراق حالة غوغائية ومن المعروف أن الغوغاء متعدد الأشكال والأنواع وان الذي حصل في العراق كان من نوع الغوغاء المعتدية التي تقوم بالسلب والنهب والإرهاب لأنها كانت موجهة و مدعومة من قوى خارجية فضلا عن العوامل البنائية الموجودة وحالة الرعب التي أصابت المجتمع في أثناء القصف الجوي أن حالة الغوغاء كانت من اشد مراحل العراق قلقا وشعورا بالأمن الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي لأنها كانت سياسية

[1] د. مهدي ، شفيق ، عنف الحصار واثره على تعليم الأطفال في العراق ، مصدر سبق ذكره .

في هدفها كما كانت بروح طائفية وعدوانية تخريبه في سلوك القائمين بها مما أدى إلى حدوث الفرهود [١] .

فقد هبت اثنتا عشرة محافظة من بين محافظات العراق الثماني عشرة إلى أضرار للأملاك العامة والخاصة على حد السواء [٢] نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

ففي محافظة التأميم انعدمت السيطرة على المنتفعين من الانتفاضة حيث سلبت ونهبت آلاف البيوت والمحلات التجارية [٣]

وفي محافظة البصرة استمر الثوار في تصعيد عملياتهم حيث هاجموا مدخر تموين النشوة في ناحية الدير واستولوا على كميات كبيرة من المواد الغذائية كالطحين الرز السكر، الشاي والبقوليات الجافة ، التي كانت مخصصة لتموين قطعات الفيلق الثالث وخلال ساعتين جاء جنود تلك القطعات حفاة وبلا وسائل نقل و كان مخزن الرز في تلك الوحدة يحتوي على (٤٠) طناً لقد كانت الجماهير المهاجمة من الفئات المسحوقة اقتصاديا وتعاني شظف العيش وليس غريبا أن تكون نظرتهم إلى النظام بكليته نظرة كراهية إذ استأثر أزلامه بكل لوازم الرفاهية والعيش الرغيد في القصور الفارهة حيث كان كل من ينتسب إلى الزمرة الحاكمة يحوز على ما يشاء من الممتلكات في حين كان الناس ينحدرون إلى قاع الفقر وليس من سائل عن حالهم [١]

---

[١] الكبيسي ، احمد فرحان ، الأمن الاجتماعي في تحصين وتماسك المجتمع العراقي ، اطروحه دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ١٩٩٥ ، ص ١٢٧ – ١٢٩ .

[٢] جعفر ، ضياء جعفر ، نماذج من جهود إعادة الأعمار العراقية أثناء الفترة من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٢ ، مقالة في مجلة المستقبل العربي ، عدد ٩ ، السنة ٢٠٠٣ ، ص ١٠٣ و المحافظات هي البصرة ، ميسان ، واسط ، بابل ، النجف كربلاء ، المثنى ، القادسية ، ذي قار ، اربيل ، السليمانية ، دهوك ، التاميم ، وقد أطلق النظام السياسي السابق على هذه المحافظات اسم المحافظات السوداء ، والأعمال التي قاموا بها تجاه التنكيل بالحكم هي صفحة الغدر والخيانة إبان غزو النظام السياسي السابق إلى الكويت في سنة ١٩٩٠ هذا بالنسبة إلى محافظات الوسط والجنوب أما المحافظات الشمالية فقد أطلق عليهم اسم تمرد الخونة والعملاء بالشمال ، أما القائمون بها في محافظات الوسط والجنوب فقد أطلقوا عليها اسم الانتفاضة الشعبانية انظر المحطات الكبرى في عهد صدام ، مقالة عبر الإنترنت في الموقع http://www.al-watan.com ؛ السجل الزمني للعراق في عهد صدام مقالة عبر الإنترنت على الموقع http://nes.bbc.co.uk ؛ إعلان الانتفاضة الشعبانية مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع www.ius.20m.com .

[٣] الانتفاضة الشعبانية دروس وعبر مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع www.kitabat.com.

[١] الانتفاضة الشعبانية مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع www.dabaath.org .

وفي قضاء رانية التابع إداريا لمحافظة السليمانية انتفض أهالي المدينة وبدءوا الهجوم على الدوائر التابعة للأمن والاستخبارات والاستيلاء عليها مما اضطر بعض الوحدات لتسليم أسلحتها إلى المنتفضين ، ومن بين المواقع العسكرية المهمة التي تمت السيطرة عليها في محافظة السليمانية ، رحبة عينة الفيلق الأول في منطقة بكرجو التي احتوت على مختلف الأسلحة والأعتدة مع كمية كبيرة من التجهيزات ومواد للتحصينات والملابس ، والمواد الكهربائية والأثاث ، كما تم الاستيلاء على مراكز العتاد الواقعة في السليمانية التي احتوت على عتاد الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والصواريخ .

وفي محافظة اربيل تم الاستيلاء على مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي ومديرية أمن أربيل ومقر الفيلق الخامس ومقر الحزب الحاكم ومبنى المحافظة [٢]

وفي محافظة دهوك سيطر الثوار ، سيطر القائمون على كدس عتاد في مدن صغيرة في شمال العراق * واحتوت هذه المخازن على كمية كبيرة من عتاد الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والصواريخ وعشرات الملايين من العتاد الخفيف والمتنوع وفي يوم ٢٩ آذار سنة ١٩٩١ أدى قصف مدفعي صاروخي شديد إلى هرب الغالبية من سكانها وتشريدهم .

وفي يوم ٣٠ آذار دخلها الجيش العراقي دون مقاومة وتعرض قسم كبير من المحال التجارية والمنازل للنهب والسرقة [١]

---

[٢] الانتفاضة في كردستان مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.iraq4all.dk ، إضافة إلى مناطق سيد صادق ودربندخان وجوار قرنة .

* عين هيزوب قرب كويسنجق، ومخازن عتاد ديانا صديق ومخازن عتاد أربيل

.

[١] الانتفاضة في كردستان مقالة منشورة عبر الإنترنت مصدر سبق ذكره .

فضلا عن سرقة القطع الأثرية القديمة التي اغرقت السوق من المتاحف التي نهبت منها انذاك وكذلك من المواقع الأثرية التي هوجمت بالبولدوزرات وفي مواقع كهذه كانت تماثيل قديمة تقطع بالمنشار حتى يمكن تصديرها [٢]

لقد تردى الوضع الاقتصادي للسنوات التي تلت حالة الضعف وعدم الاستقرار الأمني بالنسبة لبعض محافظات العراق كما بينا وهذا ما كان له اثر فعال في القيام بعمليات الفرهود .

فقد حصلت فوضى اقتصادية وتضخم مالي هائل اطاح بالركائز الاقتصادية والاجتماعية للطبقة الوسطى في العراق واغلبهم من اساتذة الجامعات وحملة الشهادات العليا والمهندسين والاطباء مما ادى الى هجرة الكثير منهم خارج العراق بحثا عن عمل او لمواجهة اعباء الحياة الاقتصادية في ظل الحصار [٣]

ومع استمرار الازمة الاقتصادية لمدة طويلة منذ عام ١٩٩٠ لغاية ٢٠٠٣ ادى الى اشاعة الفقر بين افراد المجتمع لا سيما اصحاب الدخول المحدودة ، والذي وصفته احدى الدراسات مجتمع التهميش الذي يشمل الطبقات الوسطى التي اصبحت في حاجة الى مساعدة اجتماعية بعد التدهور الكبير الذي شهدته وضعيتها الاقتصادية – الاجتماعية في عقد التسعينات ، فقد احدثت سنوات الحصار الاقتصادي شللا مؤسسيا تاما هدد مصادر الحياة وجعل المجتمع ، ولا سيما الفئات الاكبر عرضة للتهميش في حالة حرمان من مصادر اشباع الحاجات الاساسية [٤]

وقد اكدت بعض البيانات الى ان نسبة الفقر وصلت الى حوالي ٧٢,١ % في المناطق الحضرية و ٨١,١ % في المناطق الريفية عام ١٩٩٣ [١] .

---

[٢] تالبوت ، آن ، الحكومة الأمريكية متورطة في سرقة للكنوز الفنية العراقية ، مقالة في مجلة المستقبل العربي ع ٥ ، لسنة ٢٠٠٣ ، ص ٨٦ .

[٣] ياسين ، صباح ، تفكيك البنى الحزبية العراقية في اطار المشروع الامريكي ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٣٠٠ ، السنة ٢٠٠٤ ، الشهر ٢ ، ص ٢٤ ، هامش ١٩ .

[٤] د. مصطفى ، عدنان ياسين ، التنمية الاجتماعية في العراق : المسارات والافاق مع التركيز على شبكات الامان الاجتماعي ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٥ ، السنة ٢٠٠٣ ، ص ٧٤ .

[١] الفارس ، عبد الرزاق ، الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ ، ص ٦٣ .

ونأتي ألان إلى الجريمة وكيف كان حالها في ظل هذة الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية ، فقد أخذت الجريمة في العراق مسارا مختلفا بعض الشيء عن الكثير من المجتمعات بحكم ظرف الحصار الاقتصادي الذي كان يمر به العراق انذاك فقد بات على بعض الافراد الذين لا يستطيعون تحقيق طموحاتهم واهدافهم بالوسائل المشروعة الى اتخاذ الوسائل البديلة والمتمثلة بالطرق غير المشروعة لتحقيق اهدفهم .

ففي دراسة نبيل نعمان الموسومة الجرائم الاقتصادية في العراق في ذلك الوقت بينت مستوى تطور الجريمة الاقتصادية (الرشوة) على سبيل المثال لا الحصر فكانت نسبة ٥٢,٢% من الاشخاص الذين اجريت عليهم الدراسة يعتقدون بان عملهم هذا غير ضار بالمجتمع مقابل ٤٠,٨ % كانوا يعتقدون بانه ضار [٢] هذا يعني ان نفرا ضالا من المجتمع كان يتحين الفرصة للقيام بالعمل الاجرامي .

وفي عام ١٩٩٦ ارتفع معدل الأسعار والبضائع في المجتمع العراقي [٣] وفي السنة نفسها تم توقع اتفاق بين حكومة العراق والأمم المتحدة برنامج النفط مقابل الغذاء الذي من المفترض أن يخفف من معاناة هذا الشعب.. *

لكن النظام السياسي السابق في العراق استغل مأساة الشعب العراقي وتاجر بتلك المعاناة أملا منه في ذلك إلى رفع أو تخفيف العقوبات الاقتصادية [١]

---

[٢] اسماعيل ، نبيل نعمان ، الجرائم الاقتصادية في العراق / دراسة اجتماعية تحليلية ، كلية الاداب ، جامعة بغداد قسم الاجتماع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ١٩٩٢ ، ص ٢٧٢ .

[٣] الحسني ، باسل جودت ، السياسات الاقتصادية في العراق الواقع والراهن مع نظرة مستقبلية ، مقالة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٥ ٢٠٠٣ ، الشهر ٩ ، ص ٩٠ – ٩١ .

* فقد تمت الموافقة على هذا البرنامج في إبريل ١٩٩٠، وسمح للعراق بمقتضاه بتصدير ما يقرب قيمته من ٢ بليون دولار من النفط.. مقابل حصص ثابتة من الغذاء، إلا أنه بعد خصم نفقات استخراج البترول وترميمات ما بعد الحرب ونفقات بعثات الأمم المتحدة هناك لا يتبقى سوى ٢٥٠ مليون للطعام والأدوية لـ٢٠ مليون إنسان ، الصواف رحاب ، الطفل العراقي مهده لحد ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقع http://www iraqcenter.com

[١] زكي ، شكري صالح ، اتفاقية النفط مقابيل الدواء والمعاناة الحقيقية للشعب العراقي ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://iraqcenter.com

ومع استمرار الحصار ازدادت معدلات التمايز الاجتماعي في المجتمع العراقي في الوقت الذي بقيت فيه الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية توسع من رقعة الفقر والحرمان بمختلف صوره [٢]

[٢] د. مصطفى ، عدنان ياسين ، التنمية الاجتماعية في العراق : المسارات والافاق مع التركيز على شبكات الامان الاجتماعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠ .

بعد ان تعرفنا في المبحث السابق على المعاناة التي مر بها المجتمع العراقي والتي وصلت إلى حد الانفجار ، بسبب الحصار الاقتصادي الذي اثر على مرافق الحياة كافة مما حدى بها إلى حالة الانفجار المرتقب .

فالقيادة العراقية كانت المسؤول الرئيس عن تفاقم الموقف وكان بيدها وحدها الأساس لكبح جماح الحرب ، وهو حكم يجافي المنطق السليم الذي بدت معه نوازع العدوان الأمريكي على العراق مبيته لاهداف واضحة أهمها الاستيلاء على الثروة النفطية العراقية ، فان رحيل القيادة العراقية ربما كان ليجنب العراق ويلات التدمير المادي ويحفظ أرواح أبنائه الذين استشهدوا دفاعا عنه وعن الأمة ، غير انه يجب أن يكون واضحا ان رحيل القيادة العراقية لم يكن ليقف حائلا أمام الاحتلال العسكري الأمريكي للأراضي العراقية [١]

ففي فجر يوم ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٣ م الموافق ١٧ محرم الحرام ١٤٢٤ هـ ومع صلاة الفجر بدأت الولايات المتحدة وحليفتها المملكة المتحدة في قصف العراق بغية إسقاط النظام فيه * فكان أسلوب الحرب الخاطفة أو الصاعقة وقد تركز القصف على بغداد واطلاق ما بين ٣٠٠ – ٥٠٠ صاروخ يوميا لأحداث نوع من الهول والصدمة * ليكون مفعولها مروعا على الشعب العراقي ، وكان هدف هذا القصف عزل قيادة العراق وتحقيق انهيار سريع لحكومة بغداد ، ولكن هناك جانبا أخر هو المخاطر التي تحيط بالمدنيين فكانت عمليات القصف الصاعق قد أدت إلى مقتل الألف تدهور الوضع الاقتصادي بسبب توقف إنتاج النفط لمدة محدودة [٢]

---

[١] احمد ، احمد يوسف ، النظام العربي وتحدي البقاء ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩١ ٢٠٠٣ الشهر ٥ ، ص ٧٠ .

* اطلقت عليها القوات الامريكية اسم الصدمة والفزع بينما اطلق عليها رئيس النظام السياسي في العراق صدام حسين (الحواسم) ، والذي اصبح هذا الاسم موضع سخرية بعد سقوط النظام فقد اطلق على كل من قام بالفرهود من افراد المجتمع العراقي

* وهو اسم الحملة العسكرية الأمريكية على الهجمات الجوية على العراق ، كوردسمان ، انتوني هـ ، الدورس الفورية لحرب العراق ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ع ٢٩٢ ، السنة ٢٠٠٣ ، الشهر ٦ ، ص ١٢٢ كما سميت هذه الحرب بالحرب الصاعقة .

[٢] شندي ، مجدي ، بغداد عروس تنتظر السبي ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.albayan.com .

" وبعد استمرار معارك لمدة ١٩ يوما سقط النظام في العراق وبالتحديد في ٢٠٠٣/٤/٩ لذلك وقع العراق تحت الاحتلال بعد حرب غير متكافئة ابتدأت في العشرين من شهر آذار / مارس ٢٠٠٣ وانتهت بسقوط النظام السياسي الذي حكم العراق طيلة ٣٥ عاما " [١]

وهنا بدأت معركة جديدة اثر الفراغ الأمني والسياسي [٢] بعد أن كانت الدولة تبسط سلطانها وجبروتها على جميع مرافق الحياة فقد رافق غياب الدولة وتعويم السيادة ضياع الاستقلال الوطني وتزايد الانفلات الأمني الذي نجم عن فراغ دستوري وغياب الأجهزة العسكرية والأمنية ومؤسسات الدولة الأخرى وساهم ذلك في انتشار ظاهرة (الفرهود) والتجاوز على ممتلكات الدولة [٣] وفي أعقاب ذلك كانت مؤسسات العراق الوطنية قد تقوضت ، و دمر ونهب ١٥٨ مبنى حكوميا في العاصمة بغداد وحدها في الأيام التي أعقبت سقوط النظام [٤]

أن مظاهر الخروج على القانون في العراق قوبلت بتجاهل من قبل السلطات المحلية وقوات الاحتلال ، ومرت بلا عقاب منذ سقوط النظام في ٩/٤/ ٢٠٠٣ حينما سمح لاعمال النهب بان تقع تحت نظر قوات الاحتلال وفي وقت لاحق ، لم تجر معالجة الزيادة في العنف والجرائم المدنية بطريقة مباشرة وبقوة لذلك تفاقم وضع الأمن اكثر من ذلك [٥] .

---

[١] شعبان ، عبد الحسين ، المشهد العراقي الراهن : الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٧ ، السنة ٢٠٠٣ ، الشهر ١١ ، ص ٦٠ .

[٢] كلارك ، سير تيرانس ، واخرون ، موقف القوات الأمريكية والبريطانية من الأمن في العراق ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.aliazeera.net .

[٣] شعبان ، عبد الحسين ، المشهد العراقي الراهن مصدر سبق ذكره ، ص ٦٠ – ٦١ .

[٤] الاثار السياسية – الاجتماعية للحرب ضد العراق ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٥ ، الشهر ٩ السنة ٢٠٠٣ ، ص ٣٢ .

[٥] فرانكي ، رند رحيم ، مراقبة الديمقراطية في العراق : تقرير رقم واحد عن الوضع في العراق أيلول سبتمبر ٢٠٠٣ ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٧ ، السنة ٢٠٠٣ ، الشهر ١١ ، ص ٧٢ ؛ الفرهود سرقة بنوك العراق ، مقال منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://www.aldaawah.com .

لقد أتت قوات الغزو الأميركية – البريطانية لإسقاط النظام العراقي ، لكن الأخطاء التي ارتكبوها أدت إلى تحفيز بعض المواطنين للخروج على القانون والبدء بعمليات الفرهود ، فانتهت إلى نشر الفوضى والتسيب الأمني [١] .

أن إجازة قوى الاحتلال لعمليات السلب والنهب والإحراق قامت بها عصابات موجهة للدوائر الحكومية والوزارات وللمتاحف الوطنية ودور الوثائق والمخطوطات والجامعات والمراكز العلمية وهذه تعني شيئا واحدا هو مصادرة الدولة والتاريخ والحضارة من بلاد الرافدين و نهب الوزارات والمراكز الرسمية واتلاف ارشيفاتها بالسرقة والسطو على أجهزتها المعلوماتية ..... غير أن الذين أوعزوا بها ووفروا لها الحماية يريدون إنهاء حالة الدولة في العراق فالدولة ، بعد عملية النهب المنظم ، باتت بدون ذاكرة ، دون تاريخ ، وكأنها لم تكن يوما دولة متعرف بها [٢] .

ولهذا سنأتي لذكر بعض دوائر الدولة الرسمية التي سرقت من قبل نفر ضال من افراد المجتمع العراقي ففي البداية سوف نتحدث عن البدايات الاولى لعملية (الفرهود) فقد تمكن السكان القريبون من وزارة الداخلية والري من القيام بعملية (الفرهود) الاولى كما نقلت لنا الفضائيات العربية منذ الساعات الاولى ليوم ٢٠٠٣/٤/٩ وكانت ظاهرة (الفرهود) تستفحل مع غياب الشرطة ورموزها في شوارع العاصمة بغداد بعد تقدم القوات الامريكية الى قلبها [٣] وفي ذالك اليوم نقلت لنا الفضائيات ايضا عملية (فرهود) لمقر الامم المتحدة الواقع في فندق القناة شرق العاصمة بغداد في سلوك لم يتوقعه أي شخص لمكانة هذا المبنى دوليا ، فالمفروض أن يكون اكثر حماية .

---

[١] بلقزيز ، عبد الاله ، المشروع الممتنع : التفتيت في الغزوة الكولونيالية للعراق ، مصدر سبق ذكره ، ع ٢٩١ السنة ٢٠٠٣ ، الشهر ٥ ، ص ٥٢ .

[٢] بلقزيز ، عبد الاله ، المشروع الممتنع : ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

[٣] الاهالي يستقبلون المارينز بالترحيب والورود وانهيار كامل للقيادة العراقية ، مقال منشور عبر موقع جريدة الوطن الكويتية وعلى الموقع http://www.alwatan.com والفضائيات هي محطة قناة العربية وقناة الجزيرة .

فقد لوحظ أن السراق استخدموا عربات تابعة لهذه المنظمة وساروا بها إلى مؤسسة أخرى هي اللجنة الأولمبية التي كان يرأسها النجل الأكبر لصدام حسين [١] .

ولننتقل ألان إلى أهم دائرة رسمية في العراق وهي البنك المركزي العراقي بفرعه الرئيس فقد تعرض للسرقة ، وبعدها أضرمت النار فيه ولم يسلم البنك المركزي وحده من عبث العابثين بل أضرموا النيران في دوائر عديدة [٢] ، فقد طالت الأيدي العابثة فروع مصرف الرافدين فتضرر من مجموع ٧٠ فرع ٥٩ فرعا الذي تضرر من جراء القصف أو تضرر من جراء سرقة أمواله فضلا عن ذلك تعرض إلى عمليات حرق كبيرة حتى تضيع جريمة سرقة موجوداته وموجودات المصارف التي سرقت من بعض الفروع المنتشرة داخل بغداد ولا سيما أن المحافظات كانت أقل ضرراً والملاحظ أن بعض مصارف المحافظات لم يتضرر ولا فرع من فروعها ومن المشاهد المهمة أن بعض المصارف الكبيرة سرقت منها الخزائن المسماة (STRONG ROOM) الذي يصعب اختراقها لكن السراق استعملوا طرقا ووسائل إلية لفتح أبوابها وقد دلت الإحصائيات إلى أن ٢٥٠ مليون دولار عدا العملة المحلية قد سرقت وذلك مجموع ما تم نهبه في فروع مصرف الخلفاء والقصر الأبيض وفرع باب المعظم * والجدير بالذكر انه بلغ عدد البنوك التي سرقت على وفق مصدر رسمي حوالي ٧٢ بنكاً وتعرّض حوالي ١٢ من حراسها إلى القتل، وقتل إثر اختصام اللصوص حوالي ٢٧ سارقاً كان أكثرهم من الذين اخرجوا من السجن بعفو عام * .

---

[١] شاهد عيان

[٢] أين أسلحة الدمار الشامل ، مقالة منشور عبر الإنترنت على الموقع http://www.aldaawah.com .

* مصرف الرافدين أسس سنة ١٩٤١ يعتبر من أكبر المصارف العراقية وقد سبق بتأسيسه البنك المركزي العراقي حيث البنك المركزي العراقي أُسِّس سنة ١٩٤٧ ، يشمل مصرف الرافدين على ١٧٠ فرع داخل العراق ، القطاع المصرفي في العراقي ، حلقات منشورة عبر شبكة الإنترنت على الموقع http://www.aljazeera.net .

* هو عفو اصدر صدام حسين رئيس جمهورية العراق السابق في اواخر سنة ٢٠٠٢ وكان يجب تطبيق القرار بالسرعة الممكنة اي منذ الساعة ١١ صباحا وحتى الساعة ٤ عصرا حيث خرج جميع السجناء واعادهم إلى المجتمع العراقي أي عملية تبيض السجون بقرار رقم ؛ د. الالوسي ، تيسر عبد الجبار حول ظاهرة العنف في الميدان السياسي والاجتماعي العراقي الراهن ، مقال منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع .http://www

وعدد من العاطلين وهناك نفر غير قليل من الذين لا يعرفون الحلال والحرام ظهر الثراء جلياً واضحاً على هؤلاء الذين كانوا يعدون من الفقراء [١] .

ولنأخذ جانب أخر شملته ظاهرة (الفرهود) ألا وهو المستشفيات فقد تعرض مستشفى ابن الزهر (التويثة) المستشفى الوحيد في العراق المتخصص في العناية بمرضى الإيدز إلى (الفرهود) على الرغم من معرفة السارقين لخطورة هذا المرض [٢] وكذلك مستشفى ابن الرشد للطب النفسي والإدمان هو الأخر تعرض لعمليات (الفرهود) على الرغم من أن هذا المستشفى كان يضم مرضى مصابين بأمراض نفسية ومدمنين على الكحول ، فلم يأبه السراق ولم يعيروا اهتماما بمعاناة هؤلاء المرضى فقد قأموا بسرق المستشفيين [٣] وقد تعرض أيضا مستشفى الرشاد للأمراض العقلية الى عمليات الفرهود ويكاد يكون المستشفى الوحيد المتخصص في الأمراض العقلية ويقع هذا المستشفى في منطقة الرشاد في أطراف بغداد وكان قبل ذلك قد سمح لمرضاه الذين بلغ عددهم ١٢٠٠ مريض بمغادرة المستشفى والتوقف عن مواصلة العلاج ، ولم يعد ما يقارب ٦٠٠ من هؤلاء المرضى إلى المستشفى وما يزال مصيرهم مجهولا [٤]

أن حجم الظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي غير الطبيعي المسلط على كاهل الفرد العراقي من قبل الحكومات المختلفة التي تناوبت على حكمه تشكل مع ما سبق عوامل أساسية ساعدت في تكوين بيئة أو حاضنة للتركيبة النفسية والفكرية وبالتالي السلوكية للإنسان العراقي [٥] فالفرد العراقي في هذه الحالة انتابته حالة مرعبة لان حالة سرقة موجودات مستشفى الأمراض العقلية والنفسية ومستشفى العزل ، ولدت قلقا وخوفا

---

[١] أين أسلحة الدمار الشامل ، مقالة منشور عبر الإنترنت على الموقع http://www.aldaawah.com .

[٢] محنة ضحايا الإيدز وأهاليهم في عهد صدام ، مقالة في جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ٢٠٠٣/٥/٥ والمنشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.alwatan.com .

[٣] نزلاء مستشفى المجانين يروون تجربتهم مع اللصوص والمجتمع ، مقالة في جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ٢٠٠٣/٥/١٠ والمنشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.alwatan.com .

[٤] المقداي ، كاظم ، التأثيرات الصحية والبيئة للحرب على العراق ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٣٠٠ ، السنة ٢٠٠٤ ، الشهر ٢ ، ص ٣٥ .

[٥] الزبيدي ، جعفر ، العنف في العقل العراقي ، مقال منشور عبر الإنترنت على الموقع www.islamlcdawaparty.

وميلا إلى العنف في ردود أفعاله [١] ، بل أن عمليات (الفرهود) طالت المواقع النووية العراقية واسفرت عن سرقة المئات من الحاويات والبراميل والصناديق المخصصة لحفظ الملوثات بعد سكب محتوياتها مما أدى إلى انتشار كميات كبيرة من النفايات المشعة من مواقع خزنها داخل مبنى الهيئة وفي محيطها ، والى كثير من البيوت والى الأحياء السكنية المجاورة والقريبة ، وقد ظهرت أولى نتائج ما حدث في المناطق المجاورة لمقر هيئة الطاقة حيث تعرض المواطنون لجرعات متفاوتة من الإشعاع ، بسبب استخدامهم للحاويات الملوثة وسجلت أجهزة القياس معدل عال من الإشعاع في منازلهم وعلى مواشيهم وطيورهم ، وتفاقمت المشكلة اكثر في ظل الشلل التام لهيئة الطاقة النووية العراقية [٢] المسؤولة عن مثل هذه الحوادث بسبب الانفلات الأمني ، علما أن شكل الحاويات كان جذابا وجميلا وبراقا يغري الإنسان العادي مما دفع بالسراق إلى سرقتها متناسين أن كل من لمسها أو اقترب منها معرض لخطر الإصابة بالسرطان والأورام الخبيثة والتشوهات الولادية ليس بالضرورة ألان وانما بعد اشهر أو بضعة سنوات ، لقد نهبت حاويات المواد المشعة بحيث لم يبق منها سوى حاويتين اثنتين فقط من مجموع المئات [٣]

بعد إعطاء هذه الصورة سنتطرق إلى شرح بسيط لنماذج من دوائر رسمية تشكل ركائز ثقافية في العراق ، وهذه الدوائر هي الأخرى تعرضت إلى (الفرهود) أي نهب الإرث

---

[١] الزبيدي ، جعفر ، العنف في العقل العراقي ، المصدر السابق .

[٢] تأسست في ١٩٥٦ د. المقداي ، كاظم ، تجاهل التلوث البيئي في العراق ستكون له نتائج كارثية ، مقالة منشورة عبر الإنترنت على الموقع http://www.iraqisciencejournal.com ، اطلع للباحث دراسة بعنوان الاثار الاجتماعية للتلوث البيئي للباحث بشير ناظر حميد وهي رسالة ماجستير في علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد للعام ٢٠٠٥ تقول" ان ابناء المنطقة الساكنين بالقرب من منظمة الطاقة الذرية بانهم اشتروا هذة الحاويات " فالباحث هنا يسال ممن اشتروا والدولة ساقطة وبالتالي ان اجهزة القانون متوقفة بعد ٢٠٠٣/٤/٩ .
اسم لجنة الطاقة الذرية العراقية ، جعفر ، جعفر ضياء واخرون ، أسلحة الدمار الشامل الاتهامات والحقائق ، مقال منشور في مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٦ ، ٨ ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٠ .

[٣] د. المقداي ، كاظم ، تجاهل التلوث البيئي في العراق ستكون له نتائج كارثية ، مقالة منشورة عبر الإنترنت مصدر سبق ذكره .

الثقافي لهذا الوطن وسوف نتحدث عن بعض هذة المراكز الثقافية واعطاء صورة قد أخذت من القائمين والموظفين فيها لاغناء هذه الدراسة بالمعلومات عن السرقة وطبيعة المسروقات وهذه المراكز هي :

أولا : المتحف الوطني العراقي .
ثانيا : المجمع العلمي العراقي .
ثالثا : المكتبة المركزية (الثانية) لجامعة بغداد .
رابعا : دار الشؤون الثقافية .
خامسا : المكتبة الوطنية .

المتحف الوطني العراقي

لقد أتت ظاهرة (الفرهود) على سرقة تاريخ وحضارة العراق فقامت مجاميع كبيرة بسرقة المتحف الوطني العراقي الذي يكاد يكون سراقه من نوعية خاصة ان صح التعبير لان هذا النوع من السرقة يكون من قبل مختص بالاثار وله من العلم والدراية بها كعمرها واهميتها التاريخية التي لا تقدر بثمن وان هناك جهة ما تخطط منذ قديم الزمان لسرقة ثروات العراق الثقافية [١] ان حجم الكارثة التي لحقت بالتراث العراقي [٢] لم يكن لها مثيل فقد شبهتها احدى المقالات المنشورة عبر الانترنت بانها كارثة توازي كارثة حرق مكتبة الاسكندرية قبل الفي سنة ، فقد أدى (الفرهود) الى ضياع مقتنيات بابلية وسومرية واشورية تعود الى سبعة الاف سنة من حضارة بلاد مابين النهرين ، اذ سرق اللصوص و حطموا مقتنيات اثرية لا تقدر بثمن من المتحف الوطني العراقي الذي توجد فيه قطع نادرة لعل ابرزها الواح شرائع حمورابي ، وهي اول دستور في التاريخ ومن المفقودات ايضا راس نحاسي لملك اكدي وجرار ذهبية وتماثيل ضخمة ومخطوطات قديمة وقيثارات مرصعة بالجواهر [٣]

وقد قدرت عدد القطع التي تمت سرقتها وتدميرها بـ (١٧٠) الف قطعة اثرية في حين تقف تقديرات اخرى على انها (١٠٠) الف قطعة اثرية ، وعلى الرغم من تضارب الأرقام وغياب الأرقام الدقيقة فهذا لا يقرر الخسارة الثقافية الهائلة للعراق والانسانية ، أما فيما يخص من قام بعملية (الفرهود) للمتحف الوطني العراقي ، فقد تشابكت اصابع الاتهام ، وتبادلت الجهات المختلفة الاتهامات بالمسؤولية عما حدث فبعض العراقيين يحملون الجانب الامريكي المسؤولية ، لانه بعد قصفت نيران المدافع والدبابات المتحف الوطني ، ترك لنهب اللصوص دون أن يحركوا ساكنا ، ومن جانب اخر تتهم جهات عراقية عديدة الجنود الامريكان انفسهم بالاشتراك في عمليات النهب والسلب (الفرهود) ولا سيما الاثار الثمينة في حين تركت الاثار الاقل قيمة للصوص المحليين بينما يشير

---

[١] د. المغترب ، حسن ، اسرقوا كل ثروات العراق ولكن اتركوا لنا اطفال اصحاء ، مصدر سبق ذكره .

[٢] جريدة الوطن الكويتية ، مقالة منشور عبر الانترنت على الموقع http://www.alwatan.com .

[٣] كارثة توازي حرق مكتبة الإسكندرية قبل الفي سنة شريعة حمورابي وكنوز فريدة ضاعت في فوضى العراق مقالة منشور عبر الإنترنت على الموقع ahlawasahla.com

الامريكان الى ان عمليات السلب والنهب قام بها عراقيون بعضهم مدربون على سرقة الاثار والتعامل معها ، وهي التي كانت وراء فقدان هذا العدد الكبير من الاثار [١] .

ومن جملة ما سرق من المتحف الوطني في اليوم الثاني من السقوط هو جدارية تزن ثلاثة اطنان تصور عملية السبي البابلي الاول ، وهي عملية لا يمكن تنفيذها دون تخطيط وعلى ايدي خبراء متخصصين ولا يمكن سرقتها عبر لصوص عاديين [٢]

ولنذهب الى سطور جمعها الباحث من خلال اجراء مقابلات مع احد موظفي المتحف الوطني العراقي والحديث عما جرى عقب سقوط النظام في العراق فبعد سماع سقوط النظام قام عدد من الافراد بكسر الابواب الخارجية للمتحف والقيام بسرقة الموجودات من مواد كهربائية واثاث وقطع اثارية مع العلم كان هذا يحدث تحت انظار القوات الامريكية ، وطلب موظفو المتحف المتواجدين في اثناء عملية الفرهود ان تقوم القوات الامريكية بحمايتهم لكنهم لم يستجيبوا لهم بحجة انه ليس لديهم اوامر بذلك وفي مجمل حديث الموظفين عن سرقة الاثار كان السراق على علم بقيمة تلك القطع الاصلية والنسخ الجبسية ، فالنسخ الجبسية لم تدمر ولا تمس وانما كان التركيز على النسخ الاصلية ، فهذا يعني ان السارق كان على علم بنوع القطع الاثارية ان لم يكن متخصصا بها ان صح التعبير ، وذكر احد الموظفين عن طبيعة بعض اماكن العرض التي كانت بها قطع اثارية مهمة ، والتي تم اخلائها قبل البدء بالعمليات الحربية على العراق ، لكن السارق قدم الى اماكن عرضها ولم يجدها مما دفع به الى تشوه اماكن عرضها لانه لم يحقق الهدف من سرقتها .

المجمع العلمي العراقي

---

[١] تاريخ العراق في عداد المفقودين وضحايا العدوان الانكلو امريكي ، مقالة منشورة عبر الانترنت على الموقع http://www.thisissyria.net .

[٢] التغلغل اليهودي في العراق واحلام اسرائيل الكبرى ، مقالة منشور علبر الانترنت على الموقع http://alquds.masrawy.com ؛ وبعد السؤال عن صحة هذا الخبر من احد موظفين المتحف الوطني العراقي قال لاتوجد هذه الجدارية وانما هنالك لوح على شكل مسلة تدعى المسلة السوداء نفش في اعلاه صورة تمثل انحناء احد اليهود الى الملك البابلي

بدأ المجمع العلمي العراقي نشاطه الثقافي عام ١٩٤٧ كمؤسسة ثقافية تعنى بالحفاظ على سلامة اللغة العربية ثم توسع بجهود نخبة من ابرز علماء العراق كالاب انستاس ماري الكرملي والدكتور احمد سوسة والدكتور صالح احمد العلي وغيرهم ... وليشمل فروع الحضارة والعلم والمعرفة المتنوعة ، وهذا ما مهد لقيام مكتبته التي غدت من ابرز المكتبات لما ضمته من المخطوطات والوثائق والكتب النادرة والتي سجلت تاريخ البشرية في كل بقاع الارض .

فمن الجدير بالذكر انه مثلما تعرض التاريخ والتراث للسرقة في اثناء الاحتلال الامريكي ، تعرض المجمع العلمي العراقي ومكتبته العريقة للتخريب والسلب من قبل بعض الجهلة والمأجورين والمخربين الذين جاؤا من خارج الحدود العراقية .

ففي الأيام الأولى لسقوط النظام في العراق قدم على المجمع اناس على شكل مظاهرة اي حشد كبير على حد تعبير احد موظفي المجمع لغرض السرقة ، واشار مصدر اخر في اليوم الاخر من دخول حافلات نقل الركاب الى باحة المجمع استعملها السراق لغرض نقل اغرض المجمع الى وجهتهم [١] .

تم تأثيث المجمع العلمي العراقي قبل سقوط النظام السابق بسنة باجهزة كهربائية وتشمل الثلاجات وأجهزة التبريد وأجهزة التكيف والمراوح السقفية والمنضدية و أجهزة الكومبيوتر مع ملحقاتها كافة ، أجهزة الاستنساخ و الأثاث ويشمل طاولات المطالعة والكراسي ومكاتب الموظفين ، السجاد الذي كسيت به أرضية اغلب غرف وقاعات المجمع العلمي العراقي علما أن هذه التجهيز تم بموجب مذكرة التفاهم الموقعة بين العراق والأمم والمتحدة ، وقد ترك التجهيز القديم في مخازن المجمع لكي يباع في المزاد لكن عمليات الفرهود طالته هو الأخر أي القديم والجديد [٢]

أما فيما يخص المكتبة التي هي محور حديثنا فقد تم كسر الباب الخارجي لغرفة مديرة المكتبة منذ اليوم الاول اي في ٢٠٠٣/٤/٩ فاصبح باب الدخول الاول للسراق وبعدها تم فتح ابواب اخرى مجاورة له لكي يتسنى للسراق العمل بحرية بغياب السلطة

---

[١] مقابة اجراها الباحث مع عدد من موظفي المجمع العلمي العراقي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٠ ، وقد ذكروا ان هناك بعض الادلاء مع الاشخاص السارقين .

[٢] مقابلة مع مديرة مكتبة المجمع العلمي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٠ .

المحلية ، علما ان غرفة الدخول هذة كانت ممر للعبور إلى مكتبة المجمع ، وقد تمت سرقة موجوداتها من جهاز التكيف وجهاز الكومبيوتر وكل الأثاث الذي تحتويه الغرفة فقد جردت من كل موجوداتها الا لوحة لاية قرانية كانت معلقة على الحائط لم يسرقها السراق *.

فاعمال الفرهود التي طالت المجمع العلمي قد أثرت في ضياع جزء كبير من تراث العراق وان المجمع العلمي العراقي أصابه الضرر الكبير كبقية دوائر الدولة التي طالها الفرهود .

أما الأضرار الثقافية التي سوف يكون حديثنا عنها في هذة السطور تشمل المخطوطات الاصلية والمصورة والكتب النادرة باللغات العربية والكردية والفارسية والتركية والانكليزية والفرنسية والالمانية فضلا عن الجرائد العراقية القديمة التي تشكل مرجعا حقيقيا للباحثين العراقيين والعرب والاجانب في مختلف العلوم وكانت الأضرار كالأتي :

مكتبة المخطوطات

١- المصورات : ضمت المكتبة ٢٥٠٠ مصورة اوربية (المانية وفرنسية وتركية ومصرية) وهي نسخ لانفس المخطوطات الموجودة في العالم ، لم يبق منها سوى ١٥٠٠ مصورة فقط .

٢- المايكروفليم : احتوت المكتبة على ٨٦٩ فلم بـ (٢٥٦٩٨٧) لقطة لاندر المخطوطات العالمية ، لم يبق سوى منها ٣٥٠ فلم فقط .

٣- المخطوطات الاصلية : تحتوي المكتبة الكثير من المخطوطات الاصلية وكما موضح في ادناه :

* بسم الله الرحمن الرحيم " يايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " صدق الله العظيم الحجرات (٦) ، وكذلك كلمة (لله الحمد) فهل السارق هنا خاف لسرقة او تمزيق هذة الاية من الجدار كما فعل بالاشياء كافة التي كانت موجود على الجدار ام ما هو السبب لذلك بتركها على ما هي علية ، ولدينا حالة اخرى هنا تم سرقة نسخة فريدة من القران الكريم من قبل احد الاشخاص الذين يتعاطون الخمر كما شهد بذلك افراد كانت منازلهم قريبة من بناية المجمع العلمي وبعد ايام اعيدت هذة النسخة من القران الكريم الى احد الجوامع القريبة من المجمع واعلن هذا الشخص التوبة عن فعل تعاطي الخمور والتوجه الى الله سبحانه وتعالى .

- ٣٠ مخطوطة اصلية مفهرسة ، لم يبق منها سوى ١٠ .
- ٦٧٠ مخطوطة (كوردية ، عربية ، تركية ، فارسية) تم ايداعها مؤقتا في دار العراقية للمخطوطات * في ١٩٩٨/١/٣ تنفيذا امر ديوان الرئاسة .
- الاثار الخطية للمحامي عباس العزاوي وهي (٩٥) اثر لم يبق منها سوى (٥٦)
- مخطوطات واوراق قديمة تعود الى العصر العباسي ، السجلوقي ، العثماني للخططي صالح السهروردي غير مفهرسة ، لم يبق منها غير مجاميع متناثرة

المكتبة العربية

١- الكتب العربية (المصادر القديمة المطبوعة ، المعاجم ، الموسوعات ، المراجع الحديثة) بلغ مجموعها (٦٠٠٠٠) كتاب نسبة الاضرار التي لحقت بها ١٢% .

٢- الكتب النادرة (ذات الطباعة الحجرية النادرة) بلغ عددها (١٠٠٠) كتاب لم يبق منها سوى (٢٥٠) كتاب .

٣- الدوريات (تضم نوادر من دوريات المجلات العراقية والعربية بلغ مجموعها (٧٨٦٢) دورية ، نسبة الاضرار التي لحقت بها ٥% .

٤- الجرائد (تضم اندر واقدم الجرائد العراقية والعربية) بلغ مجموعها (١٥٨٤) جريدة .

٥- الاطاريح (الماجستير والدكتوراه لطلبة الجامعات العراقية غير المطبوعة) بلغ مجموعها (١٤٠٣) اطروحة .

٦- صور فوتوغرافية كبيرة وخرائط ومخططات (تضم مجموعة نادرة من الصور التاريخية لبغداد وسامراء ...) بلغ مجموعها (٥٠) الباقي منها (٣٦) .

المكتبة الاجنبية

* كانت تسمى سابقا دار صدام للمخطوطات

١- الكتب (الانكليزية ، الالمانية ، الفرنسية .....) وتضم مجموعة من المصادر القديمة والمعاجم والموسوعات) بلغ مجموعها (١٠٤٨٣) كتاب ، نسبة الاضرار فيها ٣% .

٢- الدوريات : بلغ مجموعها (١١٧٠) ، نسبة الاضرار فيها ٥% [١]

هذه الخسائر الفادحة من الممتلكات الثقافية الوارد ذكرها يضاف اليها سرقة سبعة اجهزة كومبيوتر وجهاز واحد سكنر وطابعة ملونة واحدة واجهزة استنساخ عدد اثنتين واجهزة التبريد اربعة وجهاز التكيف ثمانية والمدفأة الزيتية ثمانية فضلا عن قارئة الميكروفليم وحافظات المكيروفليم وكشاف الدوريات وعارضات الجرائد والمجلات هذا فيما يتعلق بموجودات مكتبة المجمع العلمي تحديدا لما تطلبته الدراسة هذة [٢] .

المكتبة المركزية (الثانية) جامعة بغداد

[١] مقابلة مع مديرة مكتبة المجمع العلمي العراقي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٠ وهذة السطور قدمت الى مؤتمر (melcom) جمعية مكتبات الشرق الاوسط في دورتها الـ ٢٦ في المانيا في مدينة ميونخ للفترة (٢٠-٢٩) ايار ٢٠٠٤ ، علما ان نسبة الاضرار هذة قد قيمت بعد سنة من سقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ .

[٢] تقرير قدم الى مظمة اليونسكو من قبل المجمع العلمي العراقي بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٤ .

تعرضت هذة المكتبة ايضا الى عمليات (الفرهود) منذ اليوم الأول لسقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ فقد تم كسر الباب الخارجي للمكتبة دخل السراق بسهولة إلى أروقة المكتبة لعدم وجود الحارسين الاول في منزله في مكان بعيد والأخر بقي في المكتبة لكنه خاف على حياته من القتل من قبل الأفراد الذين قدموا لسرقة المكتبة ، وقد تم سرقة جمع محتوياتها المادية بالدرجة الأولى من مكيفات الهواء والأثاث المكتبي والثلاجات ولا ننسى طبعا محتويات المكتبة من الكتب النادرة والمراجع الأولية في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والتي كان نصيبها الأكبر السرقة فقد سرقت هذه الكتب من قبل أناس عارفين بقيمتها المعنوية قبل المادية لانه بحسب ما بقي من كتب يعتبر لا قيمة له بالنسبة لما سرق فالسارق كانوا يتوجهون بالدرجة الأولى إلى الأشياء الثمينة في هذا المكتبة [١]

[١] مقابلة مع مدير المكتبة المركزية الثانية بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠ .

كانت دار الشؤون الثقافية * تسعى الى تحقيق اهدافها في نشر الثقافة العامة وتيسرها وتشجيع المواهب الادبية والعناية بشؤون التراث والادب عن طريق اصدارات المجلات والدوريات والصحف بالوسائل الفنية والعلمية كافة .

فبعد سقوط النظام في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ حاول بعض ضعاف النفوس التقدم نحو هذه الدائرة الحكومية لما بها من موجودات تغري السارق بانعدام القانون وسلطة الدولة فكانت عبارة عن ثمانية عشر قسما * فضلا عن اقسام المجلات التي كانت تطبع بها وعددها ١٤ مجلة ومطبوع رئيس الى جانب طباعة الكتب التي تقررها الهيئة في هذة الدار فضلا عن وجود مطبعة كبيرة لطبع هذه المطبوعات ومخازن للوراق الذي تطبع بها الكتب والمجلات من قبل الدولة اضافة الى السيارات الحكومية التي كانت مخبأة بها وكميات الوقود (البانزين ، الكاز) كخرين لوزارة الثقافة علما ان هذة الدائرة كانت على أحد أطراف بغداد في مساحات كبيرة وواسعة ادت بها الى جعلها مخزنا احتياطيا فبعد هذة الدائرة عن مركز المدينة جعل السراق يعتقدون أنها سهلة السرقة لان هناك دوائر داخل مركز مدينة بغداد وامام اعين الناس طالها الفرهود دون منازع فكيف الحال هنا ، اضافة الى ان منازل الموظفين الموجودة داخل محيط هذة الدائرة كانت سببا في تفسير عدم سرقة موجودات فقد دافع عن هذة الدائرة قسم من موظفيها الساكنين في المنازل التي تقع ضمن الدائرة وقسم اخر يسكن في مناطق قريبة عن الدائرة وفي مقابلة مع عدد من الافراد الذين دافعوا عن

---

* كانت تسمى دار افاق عربية للصحافة والنشر والتي انشات بموجب القانون رقم (١٩٧) لسنة ١٩٧٥ الذي تعنى على انشاء منشاة ذات نفع عام باسم دار افاق للصحافة والنشر ، وقد تم تغير اسمها من دار افاق عربية للصحافة والنشر الى دار الشؤون الثقافية العامة في ١٩٨٦/١/٢ وقد تم تحويلها الى شركة عامة تعمل بموجب قانون الشركات رقم (٢٢) لسنة ١٩٩٧ بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٢ ، انظر الدليل الاداري لدائرة الشؤون الثقافية الصادر عام ٢٠٠١ .

* قسم التاليف والترجمة والنشر ، قسم الثقافة التركمانية ، قسم ادار الافراد والخدمات الادارية ، قسم الامور المالية قسم حسابات الكلفة ، قسم المخازن ، قسم التدقيق والرقابة الداخلية ، قسم الشؤون القانونوية ، قسم الحاسبات ، قسم التسويق ، القسم الفني ، قسم الصيانة ، قسم العلاقات الثقافية ، قسم المطبعة ، قسم الشعبة التجارية ، قسم الانترنت مركز البحوث والدراسات ، علما ان كل قسم من هذة الاقسام قد شغل غرفة الى غرفتين او اكثر من هذة الدار وبها من الموجودات الكاملة من التاثيث المكتبي اضافة الى الاجهزة الكهربائية من انارة او اجهزة حاسوب او اجهزة استنساخ اضفة الى اجهزة التكيف في بعض هذة الغرف ، انظر الدليل الاداري لهذة الدار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤-٥ .

الدائرة ولم يطلها الفرهود كان جواب الأغلبية أنها مصدر رزقهم وعيشة عوائلهم الساكنة داخل وخارج الدائرة وكان السبب الاخر هو الحرص على الدائرة من الفرهود [١] .

تم ذكر هذة المؤسسة الثقافية التي لم تتعرض لعلميات الفرهود لايضاح الفرق بينها وبين المؤسسات الاخرى لكي يرى الباحث كيف كان الشعور الوطني من قبل موظفي هذه الدار على ممتلكات الدولة وانها ملك للجميع ومصدر عيشهم فكيف يسرقونها على العكس من باقي المؤسسات الثقافية التي انعدم الشعور الوطني لدى البعض من موظفيها مما سبب بسرقتها سقوط النظام .

المكتبة الوطنية

[١] مقابلة مع عدد من موظفي الدائرة الذين دافعوا عنها ولم تتعرض الى عمليات الفرهود بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٤ .

تعد المكتبة الوطنية * للبلد مكتبة الدولة و تضم عادة تراث القطر من المطبوعات وغيرها من مواد المكتبة وتقوم بالعناية بهذا التراث الفكري وتقديمه للقارئ والباحث بصورة ميسورة ، فضلا عن ما يتبع ذلك من اعلام القراء داخل القطر وخارجه بهذا النشاط عن طريق حصر المحتوى الفكري بواسطة الفهارس والكشافات وقوائم الكتب (الببلوغرافيا) فالمكتبة الوطنية تقوم بوظائف متعددة تتبع من اهدافها كونها مركز لحفظ تراث العراق على مر العصور بالوسائل المكتوبة او المسموعة او المرئية وتيسرها للقارئ وتناولها بشكل سريع وكفوء ، فالامم المتحضرة تعنى اليوم بحفظ ونشر تراثها العلمي والادبي والفني وتعمل على تيسير كل الوسائل التي تكفل لهذا التراث سبيل التعريف بها داخل البلاد وخارجها حتى يستفيد منه كل باحث وناشر ومحقق [١]

وبعد هذة المقدمة البسيطة عن المكتبة الوطنية وماهية وظائفها ومهامها نرى كيف كانت عليه عقب سقوط النظام في العراق والبدايات الاولى لعلملية الانفلات السلوكي (الفرهود) فبعد سقوط النظام في العراق ترك الحراس اماكن حراستهم خوفا من خطر الموت وفي يوم ٢٠٠٣/٤/١٠ حصل حريق طال في أول الأمر الطابق الأرضي الذي كان به مخزن للتجهيزات المكتبية والكهربائية فضلا عن أجهزة الكومبيوتر على اختلاف أنواعها فقد تم كسر أبوابه التي كانت من الخشب اذ تعرض إلى عملية فرهود لما به من مواد سهلة الحمل وسريعة البيع ولمعرفة السارقين بأهميتها قاموا بسرقتها وبعدها تم حرق هذا المخزن ، وما تبقى في الطابق الأرضي هو مخزن أخر للوثائق التي تمثل تاريخ العراق منذ عام ١٩٠٨ لغاية عام ١٩٩٠ والذي كان يشمل المعاهدات والمراسلات الحكومية في

---

* صدر قانون المكتبة الوطنية في عام ١٩٦١ لغرض الاسهام في حفظ التراث الفكري العراقي ، حيث جاء في المادة الاولى ما نصه " تقوم وزارة المعارف بتاسيس مكتبة في بغداد تسمى بالمكتبة الوطنية وجاء في المادة الثانية " تقوم المكتبة الوطنية بجمع وحفظ الكتب والمخطوطات والمطبوعات الدورية والمصورات والتسجيلات والافلام المصورة واللوحات الفنية والوثائق الرسمية وغيرها مما له علاقة بالتراث الوطني بصورة خاصة وبالعالم العربي بصورة عامة وما يتصل بالحضارة والتراث الانساني والعمل على تيسر انتفاع الباحثين " وتضمنت المادة الثالثة حق المكتبة في امتلاك الكتب والمخطوطات النادرة الموجودة في المكتبات الرسمية من مجلس الوزراء " ، مجموعة القوانين والانظمة لسنة ١٩٦١ ، وزارة العدل ، الجمهورية العراقية ، القسم الاول ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠٢

[١] قرانجي ، فؤاد سعيد ، المكتبة الوطنية وافاق تطورها ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٧ ، ١٤ ٦١ .

ذلك الوقت فضلا عن محاضر البرلمان إبان الحكم الملكي على العراق والذي لم يصب بأذى لخلوه من الوثائق التي أخليت من قبل هذه الدار قبل حدوث الحرب إلى مكان كان يعتقد انهَ ◌َامان * لكن الانفلات الأمني الذي حصل في العراق طال هذا المكان الأمن ودخله السراق وقاموا بسرقته علما أن الوثائق كانت في سرداب هذا المكان فالحالة هنا قد تأخذ تفسيرين هما الأول جهل السراق بأهمية هذه الوثائق فقد تم فتح أنابيب المياه لغرض سرقتها مما اغرق المكان وتلف هذه الوثائق أما التفسير الثاني هو الفعل المتعمد للقيام بهذا العمل التخريبي بتاريخ العراق وحضارته التي تمتد إلى آلاف السنين وهذا المسالة تبقى مجهولة لحين كتابة هذه الرسالة ، وفي الطابق الأول التهم الحريق قاعات المطالعة وما بها من مناضد وكراسي لأغراض المطالعة بالنسبة للباحثين ودمرت هذه القاعة بأكملها واصبحت مساحات من الأرض خاوية من أي شئ وقد يكون الفرهود طال تلك الأشياء قبل حرقها أو أنها حرقت لتغطي على ما هو الأكثر أهمية وبعد يومين أيضا شب حريق اخر في غرف إدارة المكتبة إضافة إلى قسم التجليد الذي تم سرقة محتوياته من كارتون لأغراض التجليد ومادة الغراء ودولاب حديدية وخشبية وقد شوهد احد المارة وهو يبكي وبداء بالبكاء نتيجة لما شاهده فذهب الى احد الاشخاص الذين كان لهم نفوذ ديني في مدينة الصدر * وجلبه لكي يساعده في حماية المكتبة من الحريق و الفرهود وقد جلب هذا الشخص معه (٢٥) شخصا حاملين السلاح فضلا عن سيارات كبيرة الحجم تابعة لوزارة التجارة لحمل وانقاذ ما بقي من موجدودات المكتبة من كتب بالدرجة الاولى لان الاثاث المكتبي قد حرق بكامله في الحريقين اللذان تشبا في المكتبة من جهة مجهولة وبعد ايام عديدة من عمليات النقل لهذة الكتب * قام هؤلاء الاشخاص

---

* هيئة السياحة في شارع حيفا ببغداد .

* وهو أحد السادة من سلالة النبي محمد صلى الله عليه ، سميت المدينة في بداية تاسيها (الثورة) نسبة الى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقد وضع الزعيم عبد الكريم قاسم اللبنات الاساسية لها في عام ١٩٦١ وبقيت على هذا الاسم حتى عام ١٩٨١ حيث سميت بعدها بـ (مدينة صدام) واستمرت التسمية حتى سقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ ومن ثم تغير اسمها الى (مدينة الصدر) تيمنا باسم الشهيد محمد محمد صادق الصدر واتخذ هذا الاسم الصفة الرسمية في اب من عام ٢٠٠٣

* شاهد الباحث عملية نقل الكتب في تلك الحقبة في شاحنات ذات اللون الاصفر مخصصة لنقل الحبوب على شكل حاوية تابعة الى وزارة التجارة .

بغلق الابواب على الكتب المتبقية عن طريق لحيم الباب حتى لا يكون سهل الفتح امام اللصوص ووضع عليها حراسة اكثر من العدد الاول لحين استتاب الامن في العراق انذاك [١]

[١] مقابلة شخصة مع مدير الادارة في المكتبة الوطنية ومدير المكتبة في تاريخ ٢٠ – ٢١ –٢٠٠٤/١١/٢٤ .

المؤسسة الاسرية

" هي الوحدة الاجتماعية الاولى التي تهدف الى المحافظة على النوع الانساني وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة " [١] .

" والاسرة ايضا هي المدرسة الاولى التي يتعلم فيها الفرد قواعد المعتقد الذي يؤمن به مجتمعه ، دينيا كان او سياسيا وما يحتويه هذا المعتقد من نواه واوامر وقواعد خلقية وشروط للسلوك ، كما تعلم الاسرة الطفل تقاليد المجتمع واعرافه " [٢]

" فالاسرة تعد نواة المجتمع وقاعدته الأساسية وتقوم على أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع ، فالزواج والقرابة والعلاقات الزواجية والواجبات المتبادلة بين أعضاء العائلة يحددها المجتمع " [٣] .

" فمن اهم المهام او الادوار التي تقوم بها الاسرة كمؤسسة اجتماعية تؤدي دورها في عملية الضبط الاجتماعي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وعلى طبيعة العلاقات الاجتماعية بين اعضائها ، فالاسرة هي الاساس في تنمية وبناء شخصية الفرد السوية وتحدد انماط السلوك المقبولة اجتماعيا ، ففي الاسرة توجد افضل الوسائل التربوية والثقافية التي تقوم بعمليات الضبط السلوكي للفرد عن طريق الثواب والعقاب" [٤] " ويرجع لها الفضل في تلقين النشأ اصول التراث الاجتماعي وترويض افرادها على الخضوع والطاعة لاحكمها ووصاياها حتى تتاكد قدسيتها في قلوبهم فلا يخرجون عما ترسمه لهم من حدود وما تقراه لهم من اوضاع وقوالب " [٥] .

---

[١] د. بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢ .

[٢] د. الجابري ، خالد فرج ، دور مؤسسات الضبط في الامن الاجتماعي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٩٧ ، ص ٥٣-٥٦ .

[٣] د. الخشاب ، مصطفى ، علم الاجتماع العائلي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٤-٤٥ .

[٤] د. السيد ، محمود سلطان ، دراسات في التربية والمجتمع ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٥ ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٢٣ .

[٥] د. الخشاب ، مصطفى ، دراسة المجتمع ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٩١ .

" فالاسرة اذن هي احدى وسائل الضبط الاجتماعي التي تشكل السلوك الانساني " [١] " فالاسرة هنا تقوم بدور الوسيط بين المجتمع وابنائه كما انها مسؤولة في بعض الاحيان امام المجتمع عن تحدي ابنائها للضوابط الاجتماعية " [٢] .

وبعد هذة المقدمة البسيطة عن دور الاسرة في حياة الافراد والمجمتع نحدد بعضا من واجباتها تجاه الافراد في المجتمع العراقي تحديدا لما تتطلبه الدراسة هنا ، وان هذه الواجبات سوف نعرضها من خلال مسيرة المجتمع العراقي ، فبعد الوظيفة الاولية للاسرة في تكوينها بالزواج وانجاب الاطفال تقوم بالواجبات التي تقتضي دراستنا هنا التوضيح لثلاث مهام قد تكون لها ربط علمي بهذة الدراسة وهي كالاتي :

اولا: تطبيع الافراد وتصيرهم على وفق ثقافة المجتمع .
ثانيا : تطبيع العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة .
ثالثا : تطبيع التكافل الاقتصادي داخل الاسرة .

اولا: تطبيع الافراد وتصيرهم على وفق ثقافة المجمتع خلال حقبة سبعينات القرن العشرين .

تعكس الظروف الثقافية طبيعة الأفكار والمعتقدات والمواقف والميول والمصالح والأهداف التي يؤمن بها أفراد المجتمع وقد تختلف هذه العوامل من جماعة إلى أخرى فالقاء نظرة إلى الأسرة العراقية خلال مرحلة سبعينات القرن العشرين نراها تعيش في حالة من الاستقرار والطمأنينة بسبب الاستقرار في حالة المجتمع العراقي من خلال قلة الاضطرابات السياسية ، اي كان المجمتع العراقي يشهد هدوءا نسبيا وهذا ما اوضحناه في الفصل السابق فعملية تطبيع الافراد على وفق ثقافة المجمتع كانت على اساس الطاعة والامتثال والتعاون والتضحية والتزام التضامن الداخلي والبساطة في العيش والتعفف وتحمل المشاق والحشمة والتعقل ، كذلك الالتزام بالدين فأنها كانت تعلم الناشئة معنى الحرام وكانت الأسرة متمسكة بقيم تقليدية عالية وفي مقدمتها الشرف والكرم والشجاعة [١] .

---

[١] د. غباري ، محمد سلامة ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ١٩٨٦ ، ص ٢١٢ .

[٢] د. الجابري ، خالد فرج ، دور مؤسسات الضبط في الامن الاجتماعي مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧-٥٨ .

[١] د. صالح ، قاسم حسين ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي ، مصدر سبق ذكره .

ثانيا : العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة خلال سبعينات القرن العشرين .

اما عن طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة العراقية فنرها ايضا قد اتسمت بحالة من التوافق والانسجام ، وكان للظروف الاقتصادية والاجتماعية المستقرة اثر على الاسرة ساعدتها على تكوين علاقات اجتماعية جيدة بين افرادها ولا سيما بين الزوج والزوجة وهذا ما ساعد على تقوية وحدة الاسرة وتماسكها بوصفها منظمة اجتماعية مهمة من منظمات المجتمع ، ان تحسن الظروف الاقتصادية لمعظم الاسر العراقية خصوصا بعد التقدم والازدهار الاقتصادي الذي احرزة العراق ساعد على زيادة التوافق والانسجام بين الزوجين وتقوية الاواصر الاسرية والقرابية وتكوين الحياة الاسرية السعيدة [٢] .

ثالثا : التكافل الاقتصادي داخل الاسرة خلال حقبة سبعينات القرن العشرين .

أما عن طبيعة عملية التكافل الاقتصادي داخل الأسرة في هذه الحقبة فالرفاهية الاقتصادية التي شهدها المجتمع العراقي بعد تاميم النفط ساعد تحسين الاحوال المعيشة والاجتماعية والثقافية للاسرة العراقية فقد بلغ متوسط دخل الفرد (٨٩,٥) دينار في السنة وذلك في عام ١٩٧٧ مقارنة بـ (٨١,٤) دينار في عام ١٩٦٥ مما ساعد الاسرة على تطوير وتحسين ظروفها المعاشية و الاجتماعية بحيث اصبحت اكثر قدرة وكفاءة على خدمة حاجات الفرد وحاجات المجتمع ، فالتقدم الاقتصادي والانتعاش في الوضع المعاشي للمواطنين ساعد على تضخم وزيادة في حجم سكان العراق [٣]

اولا: الاسرة خلال حقبة الثمانينات

الا ان عقد الثمانينات الذي قامت فيها الحرب العراقية – الايرانية التي استمرت الى ثمان سنوات عانى منها المجتمع العراقي بفئاته كافة المشكلات التي صحبتها الاسرة العراقية التي هي احدى فئات المجتمع العراقي الذي اصيب بنكبة الحرب فعلى صعيد

---

[٢] د. الحسن ، احسان محمد ، التصنيع وتغير المجتمع ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ ، ص ٥١ .

[٣] حسين ، احمد حسن ، الانعكاسات الاجتماعية لارتفاع المستوى المعاشي في العراق / دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٠ .

وظيفة الاسرة في تطبيع الافراد على ثقافة المجتمع العراقي نرى ان ابناء المجتمع العراقي اصبحوا يتكلمون لغة الحرب والخوف من عسكرة المجتمع ، اي ان لباس غالبيتهم اصبح لباس العسكر وتحويل وتنميط سلوكهم الى سلوك عسكري يختلف عن الطابع المدني هذة الصورة اصبحت لدوافع وتبريرات تتلخص في ظاهرها بالاستعداد لمواجهة خطر عدوان خارجي يهدد البلد وفي باطنها احكام السيطرة على افراد المجتمع وتنظيمهم بهذه الطريقة بغية تحقيق خضوعهم الكامل وسهولة انقيادهم [١] هذا الاتجاه الذي فرض على المجتمع العراقي ادى الى عسكرة الحياة وثقافة العنف والتجهيل الشامل والى مناظر الدم والقتل التي كانت تعرض برامج تلفزيونية * انذاك اي نشوء نوع من الثقافة في المجتمع العراقي ألا وهي ثقافة العنف نسبة إلى الظروف التي عاشها المجتمع العراقي من الحرب مع ايران [٢] .

ثانيا : العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة خلال حقبة ثمانينات القرن العشرين .

لقد اثرت الحرب العراقية – الايرانية على طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة فقد اوضحت احدى الدراسات التي اجريت في اثناء الحرب بان اسباب ضعف وتوتر العلاقات الاسرية خلال الحرب تبين ان اعلى نسبة هي ٣٢,٢ بسبب وفاة احد الوالدين [٣]

اما فيما يتعلق بغياب الاب فتظهر اثاره السلبية باشكال متعددة لاسيما في الاتجاهات والمظاهر النفسية والاجتماعية غير السليمة على الاطفال والنساء في الاسرة فيختل التوازن العائلي الذي بدوره يؤدي الى ظهور الكثير من المشكلات [١] فالحرب هنا

---

[١] الهاشمي ، حميد ، عسكرة المجتمع العراقي رؤية انثروبولوجية في مظاهرها وآثارها السلبية ، مقال منشور عبر الانترنت على الموقع http://www.iraqiwriter.com

* برنامج صور من المعركة الذي كان يبثه تلفزيون الجمهورية العراقية يوميا وكان يعرض صور القتلى الممزقة واشلاء متفحمة من الحرب العراقية الايرانية .

[٢] د. صالح ، قاسم حسين ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي ، مصدر سبق ذكره .

[٣] القصيري ، انعام ، التضامن الاجتماعي في الاسرة العراقية خلال فترة الحرب العراقية الايرانية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩١ ، جدول رقم ٢٥ .

[١] مشكلات المرأة العراقية خلال سنين الحرب العراقية – الايرانية ودور الاتحاد العام لنساء العراق في علاجها بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١ ، وقد تكون الجريمة هي احدى هذة المشكلات وغيرها من المشكلات التي تصيب افراد الاسرة الواحدة .

كانت احدى الاسباب في ضعف اداء واجبات المؤسسة الاسرية بفقدان احد اركانها ان لم يكن الاثنان .

ثالثا : التكافل الاقتصادي داخل الاسرة خلال عقد ثمانينات القرن العشرين .

ان عملية التكافل الاقتصادي داخل الاسرة في اثناء الحرب العراقية- الايرانية بقت متماسكة بسبب مظاهر الاستقرار الاقتصادي في اثناء عقد السبعينات مما ادى الى الحفاظ على بنيانها الاجتماعي ذلك البناء الذي ظل محافظا على تماسكه واستقراره الاقتصادي في اثناء الحرب العراقية – الايرانية [٢] .

لكن كما هو معروف ان الحرب تستنزف الكثير من الطاقات البشرية والاقتصادية لاستمرارها ، فكيف بالامكان المحافظة على البنيان الاجتماعي للاسرة وان احد افرادها قد يكون استشهد في تلك الحرب مما يتسبب في اختلال هذا البنيان ولا سيما اذا كان رب الاسرة .

وفي هذا الصدد يؤكد حميد الهاشمي في دراسته عسكرة المجتمع العراقي زيادة عدد العراقيين المصنفين تحت خط الفقر اذ غابت عن موائدهم مواد اساسية في الغذاء التي اعتادوا عليها سابقا او مقارنة نظرائهم من بلدان الجوار ممن تتشابه ظروفهم الاجتماعية وثقافاتهم الغذائية وامكانات بلدانهم الاقتصادية مع العراق [٣] .

وفي هذا الصدد ايضا قامت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في العراق وبالتعاون مع جامعة بغداد بدراسة الجرائم الاقتصادية في ظل الحرب دوافعها وأثارها على الاقتصاد الوطني التي نشرت في تموز ١٩٨٦ ومن جملة النتائج التي وصلت أليها هذه الدراسة هو أن ٤٣,٣ % من مرتكبي الجرائم الاقتصادية كان بدافع عدم كفاية الدخل لدفعهم إلى الجريمة ، وكذلك شيوع النزعة الاستهلاكية وتصاعدها وتغير أنماط لدى المواطن العراقي انذاك .

---

[٢] د. الحسن ، احسان محمد ، دور الاستقرار الاسري في تعزيز القدرات القتالية ، الاتحاد العام لنساء العراق بغداد ١٩٨٤ ، ص ٦ .

[٣] مقالة منشور عبر الانترنت على الموقع http://www.iraqiwriter.com

اولا: الاسرة خلال حقبة تسعينات القرن العشرين .

عند الانتقال الى عقد التسعينات رأينا ان كان للاسرة العراقية شوط اخر من المعاناة بسبب الحصار الذي فرضه مجلس الامن الدولي ، فنرى مسالة انخفاض في مستوى معيشة الاسرة بسبب الحصار اثر بشكل واضح على عملية تطبيع افراد الاسرة على وفق ثقافة المجتمع خلال حقبة الحصار الاقتصادي فغياب الاب وعمله ساعات طويلة خارج البيت [١] فضلا عن عمل الام لغرض المشاركة في توفير متطلبات افراد الاسرة من حاجات مادية بالدرجة الاولى [٢] .

فكل هذة الظروف ادت الى تردي المعيشة لكثير من الاسر العراقية بسبب ارتفاع تكاليف الحياة ، مما ادى الى عجز معظم الطبقات لا سيما ذات الدخل المحدود عن اشباع حاجاتها الاساسية لهذا اندفعت الكثير من هذة الاسر وتحت ضغط الحاجة الاقتصادية الى زج ابنائها للعمل في الشوارع او الورش وهم في سن مبكرة من اجل تأمين مستلزمات الحياة اليومية .

وهذا ما اوضحته دراسة خديجة حسن جاسم الموسومة عمل اطفال الشوارع دراسة ميدانية في مدينة بغداد حيث اشارات الى ان من اهم العوامل التي دفعت الاطفال نحو العمل في الشارع هو عدم كفاية المورد المعيشي لتلبية احتياجات الاسرة بنسبة (٣٦,٨ %) والسبب الثاني كان كثرة عدد افراد الاسرة بنسبة (٢١ %) [١] .

اما بصدد واقع الاسرة العراقية في هذه الحقبة فالمعروف ان الانسان بطبعه ميال الى تكوين علاقات اجتماعية مع الاخرين ، فتكاد تكون اول هذة العلاقات مع افراد اسرته فيتصل بهم ويتاثر بهم وعن طريق هذا الاتصال يكتسب الاساليب السلوكية والاجتماعية

---

[١] فتح الله ، سعيد ، اثر الحصار الاقتصادي على ميزانية الاسرة العراقية ، ص ٧-٨ .

[٢] بشير ، اقبال محمد ، ديناميكية العلاقات الاسرية ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي ، د . ت ، ص ٢٠ .

[١] المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، عمل الاطفال في الشوارع ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ٢٠٠٤ ، ص ١٠١ ، جدول رقم ٢٢ .

والاتجاهات والقيم والمعايير ويتعلم الادوار الاجتماعية [٢] فالعلاقات داخل نطاق الاسرة تعد مجالا لضبط السلوك الاجتماعي للفرد واداة مهمة في تحقيق الضبط الاجتماعي في المجتمع ، وقد اكدت دراسة قاسم محمد كمر الموسومة الاسرة والضبط الاجتماعي دراسة ميدانية في مدينة بغداد اهمية العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة في عملية الضبط الاجتماعي الذي يستند وجوده على استقرار الاسرة ، اذ اشارت الدارسة الى ان العلاقات الاجتماعية تؤثر بدرجة كبيرة في التزام الابناء بالقيم والمعايير الاجتماعية المستمدة من ثقافة المجتمع فقد تبين من مجموع العينة التي اخذت في هذة الدراسة والبالغ عددها (٢٨٠) اسرة ان (١٨) اسرة بنسبة قدرها (٦٦ %) كان التزام افرادها عال بينما من بين مجموع (٦١) اسرة بنسبة (٢٢%) كان التزام ابنائها بالقيم والمعايير الاجتماعية متوسط ومن بين (٣٤) اسرة بنسبة (١٢%) كان التزام ابنائها بالقيم والمعايير الاجتماعية هو التزام واطئ ، فالنسبة الاولى التي توصلت اليها الرساله تدل على ان الالتزام العالي لابنائها كان سببا في تماسكها وهذا يدل على قوة الاسرة في ضبط وتوجيه سلوك ابنائها [٣] ، اما النسبتين الاخريتين فكما هو موضح قد تكون بداية اولية لحالة الانفلات السلوكي .

ثالثا : التكافل الاقتصادي داخل الاسرة خلال حقبة تسعينات القرن العشرين .

لقد نجم عن العقوبات الاقتصادية تردي المعيشة لكثير من الاسر العراقية وارتفاع تكاليف الحياة من جهة اخرى ، مما اسفر عن عجز معظم الطبقات لا سيما ذات الدخل المحدود على اشباع حاجاتها الاساسية لهذا اندفعت الكثير من هذة الاسر وتحت ضغط الحاجة الاقتصادية الى زج ابنائها للعمل في الشوارع او الورش وهم في سن مبكرة من اجل تامين مسلتزمات الحياة اليومية [١]

---

[٢] د. زهران ، حامد عبد السلام ، علم النفس الاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٤ .

[٣] الدراجي ، قاسم محمد كمر حسين ، الاسرة والضبط الاجتماعي ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ٢٠٠٢ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

[١] المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، عمل الاطفال في الشوارع ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، مصدر سبق ذكره ص ٣٣ .

وهذا لا يعني أن العامل الاقتصادي كان من العوامل التي تؤثر في عملية التكافل الاقتصادي وانما هناك عوامل أخرى كان لها السبب في طغيان الجانب المادي والربح السريع على حساب الجانب الاجتماعي للقيم حيث يتضح في الواحدات الاجتماعية والتركيبات والنظم وما ينطوي عليه من علاقات اجتماعية وحالات التفاعل الاجتماعي والمراكز والأدوار الاجتماعية التي يؤديها من خلال المراكز ، ويمكن القول أن العلاقات والمراكز والأدوار الاجتماعية يتعذر فهمها في حالتي الاستقرار والتغير من دون ربطها بالقيم الاجتماعية التي تنظمها وتوجهها ، فضلا عن ذلك أن للقيم سلطة قوية تتمتع بها تلك السلطة لا تأتي من ذاتها إنما من دعم المجتمع لها وتشديده على وجوب التزام الأفراد بها في سلوكها ويتمثل دعم المجتمع لقيمه بما يسمى بالتوقعات الاجتماعية فالناس دائما يتوقعون أمورا معينة تتضح في سلوك الأفراد وهي الأمور التي يقرونها ويعترفون بها اجتماعيا وعندما يعجز البعض عن إظهار تلك الأمور أو انهم يظهرون في تصرفاتهم ما ينقضها فانهم يتعرضون إلى النقد الاجتماعي فتتهدد مراكزهم في المجتمع .

فالقيم تمارس دورا كبيرا في تحقيق الضبط الاجتماعي لان المجتمع يتمكن من خلالها التميز بين السلوك السوي والسلوك غير السوي ويجازي هذا النمط من السلوك أو ذاك كلا بحسب ما يستحقه سلوكه [1]

لقد انعكست ظروف المجتمع العراقي على وظيفة التكامل الاقتصادي بالنسبة الى الاسرة العراقية فادت الى حالة من القصور والعوز تحت ضغط الحاجة الاقتصادية وكان هذا التاثير واضحا بالنسبة الى تردي المعيشة لكثير من الاسر بسبب انخفاض في مستوى معيشة الاسرة بسبب الحصار الذي اثر بشكل واضح على ادوار افراد الاسرة فغياب الاب

[1] د. النوري ، قيس ، افاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

وعمله ساعات طويلة خارج البيت [٢] فضلا عن عمل الام لغرض المشاركة في توفير حاجات افراد الاسرة من حاجات مادية بالدرجة الاولى [٣] .

ففي دراسة قاسم محمد كمر الاسرة والضبط الاجتماعي السالفة الذكر التي توصلت في احدى نتائجها حول مسالة الدخل الشهري للاسرة والتي كانت موضع الدراسة والبالغة عددها (٢٨٠) اسرة ان (١٧٩) اسرة بنسبة (٦٤%) لايكفيهم الدخل الشهري مقابل (١٠١) اسرة بنسبة (٣٦%) يكفيهم الدخل الشهري [٤] ومن جانب اخر نرى في هذه الدراسة نفسها حول مسالة طبيعة سكن افراد عينة هذة الدراسة فكانت (٩٨) اسرة بنسبة (٣٥%) تسكن في بيوت مستقلة وان (٩٣) اسرة بنسبة (٣٣%) تسكن مع الاقارب وان (٨٩) اسرة بنسبة (٣٢%) تسكن مع الاسرة الاصلية فالفرق بين النسب يكاد يكون قليل ولا سيما بين النسبة الاولى والنسبتن الاخريتن .

وهذا وان يدل على قوة وظيفة التضامن داخل الاسرة التي تعد من الوظائف المهمة التي تعمل الأسرة على تدعيمها بين أعضائها [١]

وفي دراسة سوسن نايف عدوان الموسومة التراتب والحراك الاجتماعي في مدينة بغداد من خمسينيات القرن وحتى ثمانيناته حيث تجد هذة الدراسة بقايا الأسر الممتدة حيث يسكن في المنزل اكثر من عائلة مثل (صدامية الكرخ ، الشواكة أحياء الكاظمية الاعظمية ، الرحمانية) وفي مقابل ذلك نجد الأحياء الحديثة (المنصور الجادرية

---

[٢] فتح الله ، سعيد ، اثر الحصار الاقتصادي على ميزانية الاسرة العراقية ، ص ٧-٨ .

[٣] بشير ، اقبال محمد ، ديناميكية العلاقات الاسرية ، الاسكندرية ، د . ت ، ص ٢٠ .

[٤] الدراجي ، قاسم محمد كمر حسين ، الاسرة والضبط الاجتماعي / دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢ .

[١] د. الحسن ، احسان محمد ، علم الاجتماع العسكري . جامعة الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ٢٣٦ .

القادسية ، الكرادة) تكون عائلاتها نواة اي صغيرة الحجم [٢] ، قد يكون بها ضعف في بعض مهمامه وبالتالي يؤثر على سلوك افرادها .

ثانيا : المؤسسة التربوية

تعد المدرسة قديما وحديثا من اهم واكثر وسائل التربية المقصودة ، وهي التربية التي يعمد اليها الانسان ويختار مناهجها ومواردها ووسائلها بعد ترو وشعور بحاجته الثقافية في حاضره ومستقبله ، ولكن عمل المدرسة ليس مقصورا على التعليم المقصود وحده وان كان ذلك ابرز فعاليتها ومناهجها اذن للتعليم او التربية غير المقصودة قسط واضح في المجتمع المدرسي [١]

---

[٢] عدوان ، سوسن نايف ، التراتب والحراك الاجتماعي في مدينة بغداد من خمسينان القرن وحتى ثمانيناته اطروحه دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، بغداد ، ١٩٩٦ ، ص ٢٤ .

[١] د. الرحيم ، احمد حسن ، صلة المدرسة بالمجتمع ، النجف الاشرف ، ١٩٦٧ ، ص ٤ .

ان المدرسة مؤسسة اجتماعية اتفق المجتمع على انشائها بقصد المحافظة على ثقافته ونقل هذة الثقافة من جيل الى اخر وانها تقوم بتوفير الفرص المناسبة للطفل كي ينمو جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا الى المستوى المناسب الذي يتفق مع ما يتوقعه المجتمع من مستويات وما يستطيعه الفرد [٢] وهي بهذا تيسر اطفال المجتمع وناشئته امتصاص وتمثيل قيم ذلك المجتمع واتجاهاته ومعايير السلوك فيه ، وتدربهم على اساليب السلوك التي يرتضيها هذا المجتمع في المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة [٣] وهي تعد من مؤسسات الضبط الاجتماعي التي تعمل على ضبط سلوك الفرد وضبط مستقبل الامة عن طريق تربية العقول وتنمية الشخصيات [٤] .

وبعد هذا العرض البسيط عن المؤسسة التربوية نحدد في السطور القادمة ما هو دور هذة المؤسسة في المجتمع العراقي ابان السبيعينات والثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وصولا الى السنوات الاولى من بداية القرن الواحد والعشرين ونرى دورها في اعداد افراد المجتمع العراقي وهل كان لها قصور في ادائها ام لا وهل للدولة دور في ذلك ام لا هذا ما سوف تحدده السطور القادمة عن هذه المؤسسة من خلال تلقين الافراد قيم و ثقافة المجتمع ، وطبيعة المناهج الدراسية التي تقدمها لافرادها

بعد ان اتضحت اهمية المدرسة للمجتمع الانساني صار من الضروري انشاؤها لنقل الخبرات والمعلومات من عصر الى عصر تشعبت فعاليتها بين اتجاهين مختلفين هما خدمة الفرد وخدمة المجتمع [١] .

فيمكن الجمع بين هذين الاتجاهين وهو ان الفرد يخدم الدولة ويخدم المجتمع اي هي عملية تحصيل حاصل ، فالمدرسة يجب ان تخدم المجتمع وتحقق اهدافه وما الفرد الا اداة لتنفيذ اغراض المجتمع .

---

[٢] د. سلامة ، احمد عبد العزيز واخرون ، علم النفس الاجتماعي ، ط١ ، القاهرة ، ص ١٧٠ .

[٣] د. سيد ، احمد عبد السميع ، دراسات في علم الاجتماع التربوي ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ١١٢-١١٥

[٤] د. حسن ، عبد الباسط محمد ، علم الاجتماع ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠٥ .

[١] د. الرحيم ، احمد حسن ، صلة المدرسة بالمجتمع ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

اما واقع المدرسة في السبعينات وما كانت تقوم به تجاه افردها في المجتمع العراقي فقد عملت الدولة على جعل مجانية التعليم ابتداء من رياض الاطفال حتى الدراسات العليا في الجامعة بكل مستلزمات التعليم ، فضلا عن ان المدرسة كان تاثيرها في هذا الجيل من حيث انها تشكل المنظومات القيمية لدى الناشئة حيث كانت المناهج المدرسية تقوم بتعزيز القيم الإيجابية التي غرستها الأسرة في ناشئتها وغرس قيم إيجابية جديدة ولا سيما في الأخلاق والسلوك المهذب وكان المعلم يحظى بالاحترام من تلاميذه وينظر أليه بمنظور القدوة والأنموذج [٢]

وهذا نابع من حالة الاستقرار السياسي في العراق كما اشرنا سابقا فضلا عن الزيادات الكبيرة في اسعار النفط الخام بعد قرار التاميم في ١ حزيران عام ١٩٧٢ فالاستقرار السياسي يسود المجتمع وبالتالي يوجد نوع من الاستقرار في المؤسسة التعليمية من حيث المنهاج والادارة المدرسية .

ولكن على الرغم من هذا التطور الواضح في الدور الذي قامت به المدرسة في السبعينات لكن نرى تفاقم ظاهرة التسرب المدرسي وهذا ما اوضحته دراسة قامت بها وزارة التربية بعنوان التسرب في التعليم المتوسط عام ١٩٧٢ التي اوضحت حجم ظاهرة التسرب في المرحلة المتوسطة انذاك والتي تكاد تكون اكثر مسبباتها (٣) عوامل ، الاول هو العامل الاقتصادي الذي يمثل تحمل الابناء مسؤليات اعالة اسرهم بسبب الضعف في موارد الاسرة انذاك ، اما العامل الثاني هو العامل الصحي اي اصابة
الطالب بمرض يعيق مواصلة دراسته اما العامل الثالث هو العامل التربوي ، وكان من احد اسبابه هو ضعف متابعة ادارة المدرسة لاسباب تغيب الطلبة [١] .

وما ان انتقلنا الى منتصف سبعينيات القرن العشرين نرى ان المدرسة قد تم تسيسها وتوظيف مناهجها ونشاطاتهم اللاصفية لخدمة أهداف حزب البعث واعتمدت ما اصطلح على تسميته (تبعيث التعليم) أي أن يكون المعلمون والمدرسون والطلبة منتمين

---

[٢] د. صالح ، قاسم حسين ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي (بغداد – ٩ نيسان نموذجا) مصدر سبق ذكره

[١] القاسم ، بديع محمد ، بني ، جانيت خضر ، التسرب في التعليم المتوسط ، وزارة التربية ، قسم التوثيق والدراسات ، ١٩٧٦ .

إلى حزب البعث العربي الاشتراكي أو إلى مؤسساته المهنية مثل (نقابة المعلمين ، الاتحاد الوطني لطلبة العراق) وبدا من ثمانينيات القرن العشرين تأكيدا قيمتين (الولاء للحزب و تمجيد شخص رئيس النظام السابق في العراق) [٢]

وفي الثمانينات ومع قيام الحرب العراقية – الايرانية التي كان لها الدور الواضح في اداء عمل المدرسة فقد تم عسكرة المجتمع كما اسلفنا وبالتالي تم عسكرة المدرسة ايضا اي دخول بعض عناصر العسكرة في المدرسة من خلال بعض الممارسات التي لاتتفق مع طبيعة الدور التربوي الذي تقوم به المدرسة ، ففي رياض الاطفال تلقى الاناشيد بحب شخص رئيس النظام السابق عدا المعلقات من الصور والبوسترات عن قوة الجندي العراقي وشجاعته اما التدريبات على الرسم والتلوين فكانت المادة هي رسم صور من الحرب او المعارك والالعاب كانت دبابة ورشاشة ومسدس [٣] اما رفع العلم يوم الخميس فقد تم التوجيه على ان يتم اثنائه اطلاق للعيارات النارية كوسيلة من وسائل ربط الحفاظ على السيادة وبالقتال وليس بالحوار والسلم [٤] .

فضلا عن ارتداء بعض مدراء المدارس او بعض المدرسين الملابس العسكرية وفي بعض الاحيان الطلاب فضلا عن تعليم طلاب المدرسة في دورات الدفاع المدني ودورات في الاسعافات الاولية لما تقتضيه حاجة الحرب انذاك ولا ننسى المظاهرات الطلابية التي كانت تحدث بسبب الانتقاص من همجية العدو كما كان يقول عنها النظام السابق في العراق و الخطابات السياسية والحربية والاغاني الوطنية التي كانت تذاع عبر مذياع خاص بالمدارس تبين وضع الجيش العراقي في الحرب مع وجود الملصقات الحربية التي

---

[٢] د. صالح ، قاسم حسين ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي (بغداد – ٩ نيسان نموذجا) مصدر سبق ذكره والمقصود بشخص رئيس النظام هو صدام حسين رئيس جمهورية العراق السابق .

[٣] د. العينجي ، منى محمود ، العنف في المجتمع العراقي دراسة في اعمال السلب والنهب عقب احداث ٩ نيسان ٢٠٠٣ ، بحث مقدم الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٨

[٤] د. العينجي ، منى محمود ، العنف في المجتمع العراقي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩ .

تصور لنا الجيش العراقي وهو يحارب الجيش الايراني مع الاشادة بالشهداء الذين استشهدوا في هذه الحرب * دفاعا عن تربة العراق [١] .

ومن جانب اخر فان المنهج الدراسي يفترض ان يتكيف مع النظام الاجتماعي لتقويم الطفل واعادة تنظيم افكاره وقيمه وسلوكه على وفق نماذج التفكير السائدة في المجتمع [٢] وكذلك ينبغي بالضرورة ان يعكس المنهج الدراسي ما يؤمن به المجتمع كما انه يكون اداة المجتمع في تربية التلاميذ [٣] ، لهذا بات من الضروري ان تكون المناهج مخططة حسب القيم الروحية والاعراف التي يؤمن بها المجتمع وان تكون بسيطة ومفهومة حتى تؤثر في التلاميذ ويسهل ادراكها وتطبيقها وتحتوي فضلا عن المعارف العلمية الصرفة كالرياضيات والفيزياء المواد الدينية وتراث المجتمع وتاريخه ، وهذة تعكس معايير المجتمع وقيمه ان المدرسة ذات مسؤليات محددة ومهمة كمؤسسة رسمية يتطلب منها اعداد الجيل الجديد للاسهام في المجتمع والتكيف معه والعمل على استقراره ، وهذا يشير الى ان المدرسة تؤدي دورا فاعلا في عملية الضبط الاجتماعي ، فان نجحت تلك المؤسسة التربوية في اداء مسؤولياتها المتوقعة منها ، بما يتفق مع قواعد المجتمع ، فانها تكون قد ساهمت في تربية وضبط افرادها وان فشلت او اخفقت في ذلك فانها تكون قد ساهمت في تحويل

افرادها الى منحرفين او مجرمين وهكذا تبدو مسؤولية المدرسة شاقة في تحقيق الضبط الاجتماعي لافرادها وفي تربيتهم تربية منسقة متناغمة وسليمة [١]

ولتوضيح طبيعة المناهج الدراسية التي كانت تقدمها الدولة للطلاب عن طريق المدرسة فقد كانت اغلبها تصور البطولات والملاحم القتالية للجيش العراقي الذي كان يدافع عن ارضه كما كان يدعو اليه النظام السابق ، لقد كان اكثر من نصف المواد

---

* اعتبار يوم ١٢/١ من كل سنة يوم الشهيد العراقي الذي وضعه النظام السابق في العراق .

[١] شاهد عيان كطالب في المرحلة المتوسطة في تلك الحقبة من تاريخ العراق .

[٢] د. فرح ، محمد سعيد ، البناء الاجتماعي والشخصية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ١٥٩ .

[٣] د. عفيفي ، عبد الهادي ، التربية والتغير الثقافي ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٨٤

[١] كمر ، قاسم محمد ، الاسرة والضبط الاجتماعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٤ .

الدراسية تصف الحروب التي خاضها العراق منذ الفتح الاسلامي حتى العصر الحديث ولا سيما كتب التاريخ * والتي كانت منصبة على التحدث في لغة الحرب والموت والقتال .

ولندخل الان الى عقد التسعينات حيث الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق كما اسلفنا في الفصول السابقة والذي اثر على المدرسة تاثيرا يكاد يكون كليا على المدرسة فتفاقمت ظاهرة التسرب المدرسي التي تحدثنا عنها في السطور السابقة ولكن الحال هنا يكاد يكون بشكل اكثر خطورة مما سبق فقد اشارت دراسة خديجة حسن جاسم الموسومة العوامل الاجتماعية المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة المتوسطة في الكشف عن ثلاثة اثار كان لها التاثير الواضح في احداث ظاهرة التسرب الدراسي (الاثار الاقتصادية ، الاثار التربوية الاثار الاجتماعية) الاثار الاقتصادية المقترنة بظرف الحصار الاقتصادي الذي كان يمر به العراق وقت وضع هذة الدراسة فقد تبين من حجم العينة التي كان عددها ٣٠٠ مبحوث ان نسبة ٥٨,٣% من الذكور حالتهم

ضعيفة و٥٣,٨% من الاناث حالتهم ضعيفة [١] وهذا قد يكون بسبب ظرف الحصار الاقتصادي على العراق اما الاثار الاجتماعية فكان ضعف متابعة الاسرة لدراسة ابنائها وارشادهم بنسبة ٧١,٦٦% من مجموع العينة ، اما عن الاثار التربوية فتتضح من خلال الحرمان من اي فرصة للتعليم والتثقيف على الصعيد الشخصي والذي كانت نسبته في هذة الدراسة ٧٧% [٢] .

* على سبيل المثال لا الحصر كتاب التاريخ للصف الثالث المتوسط في الباب الرابع منه يتحدث عن الاطماع الفارسية في الجناح الشرقي للوطن العربي .

[١] المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، العوامل الاجتماعية المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة المتوسطة / دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ٢٠٠٠ ، ص ١٠٨ جدول رقم (٨) .

[٢] المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، العوامل الاجتماعية المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة المتوسطة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٢ ، جدول رقم (٢٥) .

وقد ساهم عمل الاطفال في الشوارع في هبوط قيمة العلم والمعرفة وطغت في مقابل ذلك الثروة والكسب السريع مما حدى بالكثير من الطلبة لا سيما ذوي الدخول المنخفضة الى ترك التعليم والتوجه نحو ميادين العمل الحر مما اثر سلبيا في العملية التربوية للمجتمع العراقي [٣] ، وكان شعور الاسرة بعدم فائدة التعليم من الناحية الاقتصادية بنسبة (٢٨,٦%) في هذة الدراسة وضعف متابعة الاسرة لدراسة ابنائها وارشادهم بنسبة (٢٢,٣ %) .

اما عن طبيعة عمل المعلم في مرحلة الحصار فالمعلم الذي يلقن الطفل القواعد السلوكية [٤] كان بالنسبة للتلاميذ المثل الاعلى والسلطة التي يجب طاعتها ، فيحرصون على متابعة سلوكه والاقتداء به شعوريا ولا شعوريا [٥] وبهذة الطريقة يستطيع المعلم ان يزود تلاميذه لا بالمعلومات فحسب ، ولكن بالمثل العليا [٦]

ولكن يبدو ان مكانة المعلم الاجتماعية وهيبته في مرحلة الحصار الاقتصادي على العراق فقد تعرضت هي الاخرى الى ثاتير واضح ، ففي دراسة عن الاثار الاجتماعية للحصار الاقتصادي على طلبة المرحلة الثانوية بين كيف ان ظرف الحصار ادى الى تدني الوضع الاقتصادي للمدرسين مما جعلهم غير قانعين بالعمل الذي يقومون به ومن ثم غير مستعدين لاعطائه الاهمية والعناية التي يستحقها ونتيجة لهذا تبدا الاجازات الطويلة والعمل القليل والغياب المتكرر ، كما ظهرت لدى البعض منهم بوادر الانحراف في ظل الظروف التي تعانيها المدرسة التي لم تعد تهتم بالتعاون والعلاقات والتفاعل داخلها بقدر اهتمامها بالامور المادية لان المدرس هو المطالب بالقيام بهذا الدور مع ان الحياة اثقلته

---

[٣] المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، عمل الاطفال في الشوارع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧ –٣٨ .

[٤] د. وطفة ، على اسعد ، السلطة واشكالية التسلط في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٩ ، ص ١٨٠ –١٨١ .

[٥] د. ابراهيم ، اكرم نشات ، علم النفس الجنائي ، عمان ، د ، ت ، ص ١٨ .

[٦] مورتنس ، رونالد ج ، التوجيه في المدرسة ، ترجمة د. ابراهيم حافظ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت ص ١١٥ – ١١٦ .

باعبائها وجعلته ينسى القيام بدوره بشكل جيد وبالتالي اصبح لدينا المدرس المرتشي ولو بنسبة قليلة والمتسرب الذي ينقطع عن المدرسة بسبب عدم كفاية مرتبه مما ادى الى نقص شديد في التدريسيين من ناحية وازدياد العبء على المدرسين الباقين مما انسحب على مستوى ادائهم وكفاءتهم [١] وبهذا الشكل تراجعت هيبة المدرسة وتدنت المكانة الاقتصادية للمعلم [٢] .

اما عن طبيعة العلاقة بين الطالب والمدرس فانها و بسبب الحصار فقد زادت حدة مظاهر الانحراف السلوكي لدى بعض المدرسين التي ادت الى سوء العلاقة التي بدورها ادت الى ظهور بعض المسالك غير المنضبطة لبعض المدرسين في تعاملهم مع الطلبة ومساومتهم على مصير مستقبلهم اما باجبارهم على اخذ الدروس الخصوصية او جلب بعض المدرسين ولا سيما ممن يجبرون الطلبة على الدروس الخصوصية من اداء وانجاز الحصص التعليمية المقررة لهم بشكل افضل [٣] .

ونتيجة لسوء العلاقة واختلالها بين الطالب والمدرس فقد ادى ذلك الى هبوط قيمة العلم والمعرفة وطغيان قيم الثروة والكسب المادي السريع مما حدا ببعض الطلبة لا سيما ذوي الدخول المنخفضة الى ترك الدرسة والتوجه نحو ميادين العمل الحر اذ بدا بعض الطلبة لا يعيرون اي اهمية للدراسة والعلم بل اتجهوا نحو ميادين العمل الاقتصادي الحر وفضلوه على اكمال دراستهم لان ظرف الحصار الاقتصادي ادت الى ضيق موارد العيش وتدني المستوى المعيشي لاسرهم مما عمل على تغير طرائق تفكير الطلبة وتصرفاتهم فاصبحوا يهتمون بالماديات اكثر من اهتمامهم بالجوانب العلمية والثقافية [١]

---

[١] الخفاجي ، ظافر كاظم عبد ، الاثار الاجتماعية للحصار الاقتصادي على طلبة المرحلة الثانوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ١٩٩٦ ، ص ٥٤ .

[٢] د. صالح ، قاسم حسين ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي (بغداد – ٩ نيسان نموذجا) مصدر سبق ذكره

[٣] الربيعي ، فريد علي امين ، اثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على الجريمة في العراق / دراسة اجتماعية اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ١٩٩٨ ، ص ١٧٢ .

[١] دارة ، فريدة جاسم ، المشكلات السلوكية في الوسط الجامعي بعد العدوان الثلاثيني ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ١٩٩٥ ، ص ٥٩ .

ان المدرسة في لاتقصر وظيفتها على نقل التراث الثقافي وانما تتعداه الى احداث تغيرات مقصودة في الاتجاهات والمفاهيم والقيم لدى الناشئة والتسرب يعني خروج قاعدة عريضة من هؤلاء الناشئة الى الحياة من دون ان يعدوا اعداد جيدا ويستوعبوا الاتجاهات والقيم والمفاهيم التي تستند اليها التنمية الاجتماعية والثقافية [٢] .

ثالثا : المؤسسة الدينية

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان ليكون خليفته على الارض وعمارة الكون يسير في ذلك على هدايته وتعاليمه ولا ينبغي الا وجهه بسم الله الرحمن الرحيم " أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير " صدق الله العظيم [١]

تعد المؤسسة الدينية احدى اهم مؤسسات الضبط الاجتماعي في المجتمع التي تقوم بواجباتها بالتعاون مع المؤسسات السالفة الذكر (الاسرية ، التربوية) لكن الفرق هنا انها مؤسسة تعطي افراد المجتمع قيم تنقل لهم عن طرق الايمان والطاعة بها وكمثل الدين الاسلامي هو مصدر القيم الاخلاقية والمثل العليا والسلوك الاخلاقي كما جاءت في الاية

[٢] خديجة حسن جاسم ، العوامل الاجتماعية المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة المتوسطة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١ .
[١] سورة العنكبوت ، الاية ١٩ .

الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " صدق الله العظيم [٢] .

وحين تبنى الاخلاق على الدين ويكون الرقيب على افعال الفرد هو الضمير الحي اليقظ المؤمن بالله يصبح الالتزام الاخلاقي والوازع الذاتي هو الاساس كما جاء في الاية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " صدق الله العظيم [٣] .

فضلا عن ان الدين الاسلامي اهتم بالتماسك واستقرار المجتمع وعمل على حمايته من خلال دفع الافراد لمراعاة حقوق الاخرين وحفظهم في انفسهم ومالهم وعرضهم وان يحبوا لهم ما يحبون لانفسهم كما جاء في الاية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم " فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراط مستقيما " صدق الله العظيم [٤]

عموما فالدين بصورة عامة هو الذي يعلم الناس ان المحن والبلاء سنة حسنة حتمية في الوجود قد تتخذ محكا لتطوير وانضاج الشخصية الروحية للانسان وبالتالي فانه يحرص على توازن الشخصية وعدم تعرضها للاضطرابات المفاجئة .

وبعد هذا العرض البسيط عن بعض وظائف الدين ولا سيما الدين الاسلامي ننتقل الان الى وضعية المجتمع العراقي ابان المراحل التي ذكرناه في الفصل السابق .

وكيف ان افراد المجتمع يسلكون سلوكهم والتزامهم الديني امام الله وما هي الاعمال التي قام بها النظام السابق تجاه هذه المؤسسة في المجتمع العراقي .

لقد كان الالتزام بالدين الاسلامي في المجتمع العراقي في وضع مهدد ففي الحرب العراقية الايرانية التي شنها النظام السابق ضد ايران بحجة ان ايران تحاول السيطرة على بعض ممتلكات العراق الحدودية ، ولكن في حقيقة الامر نرى انها حرب قامت بين دولتين مسلمتين ولكن النظام السابق اراد ان يستخدم السياسة ويبطنها بالدين موضحا ان الطرف الاخر اي ايران دولة اعجمية " لا فرق بين عربي واعجي الا بالتقوى " وهذا حديث نبوي

---

[٢] سورة ال عمران ، الاية ١٠٤ .

[٣] سورة الاحقاف ، الاية ١٣ .

[٤] سورة النساء ، الاية ١٧٥ .

شريف فكيف لنا ان نتصور ان الطرف الاخر هو كافر او مشرك ونحن لا نرى اعماله سوى التي كانت تصورها لنا وسائل اعلام النظام السابق .

واذا ما انتقلنا الى عقد التسعينات اي مرحلة الحصار الاقتصادي على العراق تلك المرحلة التي تركت اثارها على المجتمع العراقي وبشكل واضح المعالم والذي يهمنا هنا كيف كان الالتزام الديني بالنسبة لافراد المجتمع العراقي في هذة المرحلة ففي طبيعة الحال كان هذا الحصار ليس اقتصاديا وانما على اصعدة اخرى مثل الصحة الثقافة على سبيل المثال لاالحصر ، فمن الجانب الاقتصادي نرى انتشار ظاهرة الغش بانواعه وتوجهاته كافة وفي مجالات عدة فعلى سبيل المثال لا الحصر بيع وشراء المواد الاستهلاكية التي حقق الاشخاص القائمين بها ارباحا طائلة على حساب المستهلك وهذا مالايمت الى تعاليم الدين الاسلامي في مسالة الغش كما ذكرت الاية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم " ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعيثوا في الارض مفسدين صدق الله العظيم [1]

ومن جانب اخر نرى انتشار بعض سلوكيات افراد المجتمع العراقي ابان التسعينات اي مرحلة الحصار الاقتصادي فيما يتعلق بالجانب الديني فقد اصبحت الطقوسية تمارس

دون معرفة لمدلولاتها.. فعلى مكاتب كبار الموظفين والحزبيين المستفيدين من طغيان النظام تجد اعدادا من نسخ القرآن الكريم بجانبها سجادة الصلاة دلالة على الايمان بالله والالتزام بالعدالة والحق والقوانين وهي في حقيقتها ضمانة لشرعية سلوكه مهما كان طبيعته (الجمع بين قوة الايمان بالله وقوة المنصب) فهو يقول مايرضيك ويفعل مايرضيه هذه الحالة رافقتها حالة نكوص الى الماضي ويبقى المتحدث دائما يحن الى الماضي وينكر الحاضر والمستقبل عنده غيب لايعرفه الا الله فأنتقلت تقاليد الدين والعشيرة والسوق الى المؤسسات الحكومية بالفاظها وسلوك الوزن بالميزان المادي وليس العقلي ولا الديني . بل اصبحت مشوهة بكل اشكالها وبذلك ضمن النظام التخفيف من شكوى قلة الرزق وعدم كفاية الراتب وجدوى الشكوى من المشكلات المستعصية مثل وسائل النقل وازدحام السكن او عدم توفره وانسجموا مع الاوضاع فكل تمرد هو (اعتراض على ارادة الله) .

---

[1] سورة الشعراء ، الاية ١٨٣ ، تظهر لنا هنا عمليات الغش في نوعية السلع مما تقع تحت طائلة قانون تنظيم التجارة رقم ٢٠ لسنة ١٩٧٠ .

في المرحلة نفسها ظهرت شخصيات تدعي التصوف والزهد مدعية المعرفة بالغيب وقد تمحور حولهم الافراد للخلاص من اوضاعهم الاقتصادية ومن الظلم الاجتماعي الواقع عليهم وهم الكثرة مازالوا مستمرين بالتبرع من القليل الذي يملكونه لسداد نذورهم والبحث عند هؤلاء عن اخ مفقود في الحرب او ابن خرج ولم يعد اليهم ومنهم من يطلب الرزق وغير ذلك مما صنعه النظام وكل الحلول المؤجلة عند الله فقط و الادهى من ذلك ان بعضا من الطبقة المثقفة بعد ان ضعف دورها وانخفضت قيمة العلم والمتعلمين امام اصحاب المهن الحرة واصحاب الاموال التي لايعرف مصدرها اصبحوا يبحثون عن حلول لمشكلاتهم الكثيرة... لقد يأسوا من علمهم بعد ان اعياهم سبيل البحث عن الرزق واتجهوا الى دعاة القدرات العالمة بالغيب وبحثوا عن ارزاقهم لدى السحرة مبررين ذلك كون السحر مذكور بالقرآن مما يؤيد صدق السحارين [1] .

هذا من جانب افراد المجتمع اما من جانب النظام السابق فقد كان يتكلم شيئا ويفعل شيئا اخر ففي دراسة حسن عبد علي اللامي الموسومة كتابات واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسين ذكرت المواضيع التي تحدث بها الرئيس العراقي السابق

في مواضيع مختلفة والذي يهمنا هنا موضوع الجانب الديني وكانت نسبته ١٢,٩٠ % في ضرورة بناء المجتمع الايماني الذي يقوم على اساس تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف وعادات مجتمعنا الاصيلة [1]

وقد تجسدت سياسة رئيس النظام السابق في العراق في الجانب الديني التي عن طريق :

١. ادخال عدد كبير من الايات القرآنية في الخطابات الرسمية السياسية لاسيما تلك التي تقدم في اوقات الازمات السياسية والمناسبات الوطنية.
٢. ادخال الكوادر المتقدمة في حزب البعث (عضو فرقة فما فوق) بدورات "الحملة الايمانية.

---

[1] د . العينجي ، منى محمود ، العنف في المجتمع العراقي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥

[1] حسن عبد علي اللامي الموسومة كتابات واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسين ، رسالة ماجستيرغير منشورة قسم علم المكتبات ، الجامعة المسنصرية ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ١٨٨ .

٣. بناء الجوامع الفخمة الكثيرة والمنتشرة في كل مكان.
٤. وضع عبارة (الله اكبر) على العلم العراقي تجاوزا للقانون.
٥. وضع مناهج التربية الاسلامية من المدرسة الابتدائية حتى نهاية المدرسة الثانوية بطريقة معقدة .
٦. ادخال الاطفال والشباب في دورات الحفظ الببغائي للايات القرآنية دون ادراك لمعناها.
٧. فتح مدارس ومعاهد وكليات اسلامية وزيادة اعدادها منها (جامعة صدام للعلوم الاسلامية).
٨. فتح كلية لتخريج الوعاظ وائمة الجوامع.
٩. كتابة الادعية من قبل رئيس النظام وبشكل مطول وممل.
١٠. كان في النية اصدار صحيفة لادعية الرئيس كالصحيفة السجادية للامام على (زين العابدين) وجدت منضدة في دار الشؤون الثقافية.
١١. ظهور مذيعات التلفزيون خلال شهر رمضان المبارك بلباس ديني مشوه عزز من الاساءة الى الدين والمؤسسة الدينية .
١٢. قطع البرامج التلفزيونية والاذاعية عند حلول موعد الاذان ويطول القطع لاستغلاله بالدعاء للرئيس وقراءة ادعيته.
١٣. استخدام اسلوب تحفيظ القرآن للمنحرفين (المختلسين والمرتشين والمحكومين لاسباب اخرى) في السجون بعد معايشة من قبل احد منتسبي الحزب ليكتب بعد ذلك تقريره عن توبة المنحرف مما جعلها وسيلة جديدة للانحراف والتكسب وليس لتحقيق التوبة.
١٤. احصي للرئيس (٩٩) اسما على غرار (اسماء الله الحسنى) وجدت منقوشة على احدى قباب قصوره في الاعظمية فمن تلك الاسماء نذكر منها الاسماء ذات الصفة الدينية : الرحيم ، الوقور الصابر ، المجير، الباسط ، حفيد الدوحة المحمدية العادل ، الكريم ، وغيرها من الاسماء [١] .

[١] نشرت جريدة الصباح مصورة النقش في عددها الصادر يوم السبت ٢٠٠٤/٥/٣١ ، وهنالك اسماء اخرى للرئيس تحمل الصفة الوطنية على سبيل المثال لا الحصر (الباسل ، الهمام ، الرمز ، الفارس ، الغيور ، المقدام ، المنصور)

١٥. قام بكتابة القرآن بدمه وعندما اثار ذلك غضب الكثيرين قدم تبريره على ان دمه ليس دما مسفوحا وانه مزج بالمواد الكيمياوية لمنعه من التفسخ [٢]

١٦. قام بربط نسبة بالامام علي (رض) واعد شجرة نسب وضعها في مرقد الائمة وقد ادعى انه حفيد الدوحة المحمدية .

١٧. قام بوضع وصايا كوصايا العظماء فيها من الفكر الديني والسلفي والحكمة التقليدية مايؤكد فيها مخاطبة عقول العامة والاكثر من ذلك انه فرض تأطيرها ووضعها في غرف موظفي الدولة واعضاء الحزب.

١٨. صلاة الجمعة اخذت طابعا دينيا جديدا حيث اخذ سماع خطبة الجمعة وهي في حقيقتها موجهة ومكتوبة من قبل جهات امنية وتوزع على الجوامع وتنتهي الخطبة التي يلقيها خطيب المسجد الذي خصص له راتب شهريا وينتهي بالصلاة لقائد العراق بالنصر على الاعداء [٣] .

كل هذه المظاهر الدينية كانت تتناقض مع الاوضاع السائدة في القطر لذلك لم يؤمن بها الشعب بل انها اصبحت مثار للجدل وعدم الالتزام بها .

رابعا : المؤسسة القانونية

سوف نتناول في هذة المؤسسة تعريفها و وظيفتها في المجتمع والانتقال الى حال هذة المؤسسة في العراق ابان الحقب التاريخية السابقة الذكر في الفصل السابق وما كان دورها تجاه افراد المجتمع وكيف كان النظام السابق يقود هذة المؤسسة (وبعد ذلك نتطرق الى الربط بينها وبين المؤسسة العسكرية لما بينهما من ربط في الوظائف والاهداف) ، فالمؤسسة القانونية سايرت منطلق الحياة البشرية الذي يختلف عن المنطلق الطبيعي الذي تحدث بموجبه حركات طبيعية ، اذ يولد ذلك المنطلق بفعل الارادة البشرية في المجتمع ليوائم حركته في الاتجاه الذي يقصده ومن بين العديد من القواعد الاجتماعية تبرز القواعد القانونية فالقانون هنا هو قواعد للسلوك ملزمة بوجود السلطة وراءه والذي يتميز بطبيعته

---

[٢] العينجي ، منى محمود ، العنف في المجتمع العراقي ، مصدر سبق ذكره ، ١٧ – ١٨ .

[٣] د. العينجي ، منى محمود ، نفس المصدر السابق ، ص ١٩ .

عن بقية القواعد الاخرى التي تشارك القواعد القانونية مهمة التنظيم الاجتماعي كالقواعد الدينية والقواعد الاخلاقية [١] .

ان الاصول الاجتماعية التي املت وجود القانون كانت تهدف من وراء وجوده اخضاع جميع التصرفات العامة والخاصة ، المضرة بالمجتمع الانساني وذلك باطر معينة يسنها القانون ويضع لها عقوبات للردع وبعدم الاستمرار بمثل هذا السلوك باطر معينة يعينها المشرع ويسنها القانون تقضي اجراء تلك التصرفات طبقا للشروط التي حددتها الاحكام التي تتضمنها القواعد القانونية [٢] .

وبعد هذة المقدمة البسيطة عن مفهوم ووظيفة القانون نحاول ان نعرف ما هي الواجبات التي كانت ملقاة على هذة المؤسسة في العراق ، فكما هو معروف ان تقسم السلطات الى ثلاث صور هي التشريعية ، القضائية ، التنفيذية ، الذي يهمنا هنا هو السلطة او النظام المطبقة في العراق *

يقوم النظام الرئاسي من حيث الاصل العام على مبدا الفصل بين السلطات وذلك بتوزيع السلطة على هيئات متعددة ، الا ان النظام الرئاسي وان اعتنق مبدأ فصل السلطات فانه يتميز باستقلال كل هيئة عن الاخرى الى اقصى درجة ممكنة الامر الذي لا يحقق التعاون بين هذة الهيئات [١]

وفي النظام الرئاسي يتحقق مبدا الفصل بين السلطات في اسمى مظاهره و اقواها فالفصل مطلق وكامل بين السلطات الثلاث من الناحية النظرية في الاقل ، وفي التطبيق الحرفي للنظام الرئاسي لا يوجد اي قدر من التعاون او الاندماج او التبادل ، مع ما يترتب على ذلك من عدم جواز خضوع اي عضو من احدى السلطات اي اجراء من شانه ان يتنفس من هذا الفصل المطلق بينهما [٢] .

---

[١] توفيق ، سمير خيري ، مبدا سيادة القانون ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

[٢] توفيق ، سمير خيري ، مبدا سيادة القانون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩ .

* ان النظام الحقيقي الذي كان مطبق في العراق يدعى النظام الخاص .

[١] د. خليل ، محسن ، النظم السياسية والدستور اللبناني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ٤٠٤ .

[٢] د. العاني ، حسان ، الانظمة السياسية المقارنة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٦ .

ولكن في الواقع العلمي كان هنالك فصل نسبي لوجود التداخل في الاختصاصات وغلبة نفوذ السلطة التنفيذية على حساب السلطة التشريعية [٣] .

وبعد هذه السطور النظرية عن طبيعة عمل السلطات في النظام الرئاسي ، نقف لنشاهد هنا ما حل المؤسسة القانونية في العراق فقد حدث ولاول مرة في تاريخ العراق الحديث الجمع بين السلطة التنفذية والتشريعية في هيئة واحدة هي مجلس الوزراء (١٩٥٨-١٩٦٨) ومجلس قيادة الثورة ١٩٦٨ وما بعدها [٤] .

ففي مسالة تطبيق القانون وضحت دراسة حسن عبد علي عبد النبي اللامي الموسومة كتابات واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسين اكد رئيس النظام السابق على مسالة تطبيق القانون فقد اوجدت هذة الدراسة نسبة ٣٤,٤٨ % من المواضيع التي تدور حول تنظيم العلاقات بين المواطنين وحل النزاعات على وفق القوانين والقرارات الصادرة من الجهات العليا مع ضمان حقوق الدولة والمواطن وبالتالي فهو ينعكس ايجايا على مختلف نواحي الحياة ، واكد حرية القضاء وعدم تعريضه لاي نوع من الضغوط لاجل استصدار قرارات لمصالح جهات متنفذة ، وضرورة مساواة الجميع امام القضاء ايمانا منه بالعدالة وروحها وتجسيدا لقيم الدين الاسلامي واقتداء بسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من مساواة الجميع حتى لو كانوا هم انفسهم او ابنائهم امام القضاء واكد بقوله " ان نحرص كلنا عن التدخل في شؤون القضاء او شؤون التحقيق او المعاملات التي تخص المال العام او تطبيق القوانين والانظمة " [١]

اما مسالة تطبيق القانون فكان نسبته ٢٧,٥٩ % واكد ضرورة تطبيق القوانين الصادرة عن الجهات العليا في كل مرافق الحياة ، وذلك من اجل ضمان سير الاعمال بالصورة الصحيحة ومن اجل ضمان حقوق الدولة والمواطن ، وعن تطبيق القانون يقول " عندما ندعوا الى احترام القانون وتطبيقه تطبيقا نزيها وامينا .. فاننا ندعو الى المساواة في

---

[٣] د. خليل ، محسن ، النظم السياسية والدستور اللبناني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠٧ .

[٤] ال مانع ، فلاح حسن ، المجتمع المدني في العراق دراسة تحليلية في علم الاجتماع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٣ .

[١] اللامي ، حسين عبد علي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٥ .

هذا وفي غيره بين المواطنين بغض النظر عن اي اعتبار اخر " ويقول ايضا " عندما تطبقون القانون بحزم وعدل فان الباطل مندحر لا محالة " واكد تقليص الاستثناءات الملحقة بالقوانين والقرارات من اجل ان يطبق القانون على الجميع بصورة متوازنة [٢] ، وفي المقابل ففي عام ١٩٨٠ تم تسفير ٣٠٠ الف مواطن عراقي بحجة التبعية الايرانية [٣] وكان ذلك مرافقا للحرب مع ايران حيث اخرجوا من منازلهم ولم يسمح لهم بحمل ممتلكاتهم الا مايسد حاجاتهم المؤقتة وتم الاستيلاء على الدور ومحتوياتها ، اي بمعنى فرهود رسمي من قبل السلطة الحاكمة انذاك في نقل مانهب الى الاماكن التي امر بها بعض المسؤولين .

في عام ١٩٩٠ غزا النظام الكويت وعلى اثرها قام بتنظيم اعمال نهب عن طريق توجيه دوائر الدولة من وزارات ومؤسسات بالاستيلاء على ممتلكات الدوائر الكويتية المماثلة وجلبها الى دوائرهم.. هذا عدا ماقام به افراد الجيش والمدنيين من سلب ونهب للمواقع المدنية والعسكرية والدور والاسواق.. كما استخدمت السيارات المنهوبة استخداما شخصيا او في دوائر الدولة.. وسجلت دوائر المرور العراقية تلك السيارات بأسماء سراقها او من اشترى منهم [١] ، وفي الربع الاخير من عام ٢٠٠٢ قرر النظام السابق الافراج عن المسجونين المودعين في سجون العراق كافة ودون استثناء من نوعية الجرائم حتى الموجودين في مراكز الشرطة والحجز وايقاف المحاكمات التي كانت بشان تجريمهم من قبل القانون العراقي * فقد كان هو صاحب الكلمة الاولى والاخير ففي احدى لقاءته مع المواطنين قال ان القانون كلمة نغيرها حسبما نريد وكيف ما نشاء وكانت احدى مقولاته " اذا قال صدام قال العراق " وقد طبعت هذة المقولة على اغلب جدران الدوائر الرسمية

---

[٢] اللامي ، حسين عبد علي ، نفس المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

[٣] الناصر ، يوسف ، من هو العراقي ، قراءة في كتاب ، مقالة منشورة في جريدة المؤتمر ، ٣٠ نيسان ، ٢٠٠٣ .

[١] الغزو العراقي للكويت ، ندوة بحثية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٥ ، ص ٩٥

* ان قرار الافراج صدر في الساعة ١١ صباحا وكان يجب ان ينتهي التنفيذ في تمام الساعة ٤ عصرا وتم ذلك وقد خرج هؤلاء المساجين بعنفهم الى المجتمع العراقي ، ولمراجعة سلوكيات العنف التي كانوا يسلكونها اثناء وجودهم في السجن والتي تحولت الى المجتمع الكبير ارجع الى دراسة ثقافة السجن وهي جزء من اطروحة دكتوراه في علم الاجتماع للسيد عبد السلام نعمة جنزيل ، قسم الاجتماع كلية الاداب جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ ، لمعرفة كيف كانوا هؤلاء المجرمين احد الاسباب في انتشار الفرهود عقب سقوط التظام وتوقف القانون .

العراقية وكذلك الملابس ، هذه صورة الى الحالة التي كان عليها القانون وكضابط سلوكي وكما هو معروف ان المؤسسة العسكرية لها نفس الوظيفة السلوكية والدفاعية عن المجتمع لذا ساعطي لمحة بسيطة عن المؤسسة العسكرية في النظام السابق اذن فيمكن التعريف بانها تنظيم مهمتة الدفاع عن المجتمع والمشاركة في حملات غزو عسكرية يعيش الأفراد فيها في الأغلب في معسكرات خاصة بهم وتحت إمرة رجال ذوى خبرة يخضعون لأسلوب معين في العيش [٢]

فالمؤسسة العسكرية والمتمثلة بالجيش الذي يحتل ولا ريب موقعا متميزا في الحياة الاجتماعية في المشرق العربي ، وهو دور ورثته عن الحقبة العثمانية عندما كان الجيش يؤلف الحياة الاجتماعية وقطب رحاها ، تلك الدولة التي نشأت وترعرعت وتوسعت وانكمشت وتحطمت على أيدي الجيوش [٣]

أن المجتمع يعتمد على المؤسسة العسكرية في تحقيق استقراره السياسي وسمعته الدولية وذلك لما تقوم به من مهام تتجسد في قيام جماعتها وتشكيلاتها المقاتلة بالدفاع عن حرمة الوطن من الأخطار والتهديدات الأجنبية التي يتعرض لها والتصدي للعدوان الخارجي المحتمل مهما يكن مصدره والحفاظ على الأمن والنظام في الداخل إذا دعت الضرورة لذلك [١] .

لكن الذي حصل في العراق بشان المؤسسة العسكرية هو ان حزب البعث الحاكم قد نصب عينه شعار تبعث القوات المسلحة كونها مؤسسة مغلقة للحزب تحديدا من حيث تولي مناصبها القيادية والتخطيطية ، وبذلك فقد جعل الانتماء للحزب مطلبا مهما في هذا المجال ، كما أن السلطة البعثية قد زجت بما يقارب ٢٥٠٠ من العناصر البعثية الفاشلة في الثانويات ومنحتهم صفة نائب ضابط حربي واولتهم مسؤولية التوجيه السياسي وهو الجهاز الذي اخذ على عاتقه أمر فرض البعث على القوات المسلحة [٢]

---

[٢] د. سليم ، شاكر مصطفى ، قاموس الانثروبولوجيا ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٦٣١ .

[٣] القصاب ، عبد الوهاب ، الجيش ، مقالة منشورة في مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٥ ، السنة ٢٠٠٤ ، الشهر ٧ ، ص ١١١ .

[١] خضر ، احمد ابراهيم ، علم الاجتماع العسكري ، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص ٩٨ .

[٢] القصاب ، عبد الوهاب ، الجيش ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٦ .

لقد ألقت الأحداث التي مرت على العراق وطوال أمد الحرب التي خاضتها القوات المسلحة وجفاف موارد التسليح وتردي الوضع الاقتصادي وانعدام التدريب وضعف الوضع المهني فقد تزايدت أعدادها بشكل سرطاني وانخفاض انضباطها وزادت حالات الهروب منها ، مما دفع القيادة إلى اتخاذ قرار مهم وهو توسيع الحرس الجمهوري وتسليحه بأفضل المتيسر ورعاية أفراده رعاية خاصة للقضاء على حالات الهروب ، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الغاية كانت ليس حماية النظام لان ذلك أنيط بتشكيل أخر ، ولكن لإيجاد بديل معتمد عن الجيش الذي بدا النخر والفساد يعيثان فيه نتيجة تفاقم الاوضاع [٣] .

فضعفت هيمنة القانون وهيبته وكذلك المؤسسة العسكرية وهذا مما مهد الطريق لسلوك الفرهدة ، اذ ان هاتين المؤسستين لهما الوظيفة الضبطية للطبيعة البشرية الجامحة فاذا غابت ظهرت طبيعة الغاب البشرية .

[٣] نفس المصدر السابق ، ١١٩ .

نوضح في هذا المبحث بعض الافكار العلمية والنظريات في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وعلم الجريمة وصول الى بعض الاستنتاجات حول معرفة حدوث مثل هذا النوع من السلوك غير السوي في العراق ولا سيما عقب كل حالة من الاظطرابات السياسية تليها الاظطرابات الاقتصادية وهل ان هذا السلوك هو سلوك جمعي ام هناك اسباب اخرى ادت الى ارتكاب مثل هذا السلوك .

افكار علمية في علم الاجتماع

اولا - اراء ابن خلدون (صراع البداوة والحضارة) .
ثانيا - فرضية علي الوردي (التناشز الاجتماعي) .
ثالثا - فرضية عبد الجليل الطاهر .
رابعا - نظرية اميل دوركهايم .

اولا : اراء ابن خلدون

سوف ناخذ من مقدمة ابن خلدون بعض السطور التي تتلاءم مع ظاهرة الانفلات السلوكي ونحاول ان نوجد اوجه التقارب بين ما قاله ابن خلدون وما حدث في العراق من انتشار اعمال الفرهود فقد ذكر ابن خلدون في الفصل الخامس والعشرين من المقدمة " أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فهم أهل انتهاب وعيث " وذكر ايضا في الفصل السادس والعشرين بقوله " فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه ، بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه " [1].

ان ابن خلدون ذكر هذة الاراء لان العرب كانوا يعيشون في الصحراء وهذه بعض من سمات سلوكهم الصحراوي ، وهنالك شيء اخر يجب ان نذكره هنا ان البداوة وصفاتها تنعدم في بعض الاحيان في المناطق الحضرية فتبقى بين مد وجز اي كلما جاء المد من الصحراء تنتعش هذة الصفات فتظهر الى السطح على الرغم من انها في مناطق اخرى تنعدم فيها البداوة .

---

[1] المقدمة ، مج ١ ، ص ١٨٧ .

ثانيا : فرضية الدكتور علي الوردي

سوف ناخذ فرضية الدكتور علي الوردي حول الشخصية العراقية بما تفيد الدراسة هنا فقد اشار الوردي الى ان العراق واقع على منبع فياض من منابع البداوة وهو منبع الجزيرة العربية " فكان العراق منذ بداية تاريخيه ، يتلقى الموجات البدوية واحدة بعد الاخرى ، فكان بعض تلك الموجات يأتي عن طريق الفتح العسكري والبعض الاخر منها يأتي عن طريق التسلل التدريجي ، هذين النوعين من الموجات لابد ان يؤثر في المجتمع العراقي ، قليلا او كثيرا ، فانتشار القيم البدوية مثلا تحاول التغلغل في مختلف فئاته وطبقاته ، لذا فالشعب العراقي قد وقع بين متغيرين متناقضين من القيم الاجتماعية ، قيم البداوة الاتية اليه من الصحراء المجاورة ، وقيم الحضارة المنبعثة من تراثه الحضاري القديم ، وفي هذة الحالة يعاني الشعب صراعا اجتماعيا ونفسيا على توالي الاجيال ، فهو من ناحية لا يستطيع ان يطمئن الى قيمة الحضرية زمنا طويلا لان الصحراء تمده بين اونة واخرى بالموجات التي تقلق عليه طمأنينته الاجتماعية وهو من الناحية الاخرى لا يستطيع ان يكون بدويا كابن الصحراء لان الحضارة المنبعثة من وفرة مياهه وخصوبة ارضه تضطره الى تغيير القيم البدوية الوافدة اليه لكي يجعلها ملائمة لظروفه الخاصة ، لذا يجوز ان تصف الشعب العراقي بانه شعب اصابته الحيرة فقد انفتح امامه طريقين متعاكسين فهو مضطر ان يسير فيهما في ان واحد ، فهو يمشي في هذا الطريق حينا ثم يعود ليمشي في الطريق الاخر حينا اخر " [١] ، اي انه يعيش في صراع مستمر ، وقد اكد الدكتور الوردي قوله " لذا فالبدو بوجه عام لا يمكن ان يتركوا عادة النهب والغزو ماداموا بدوا انما تتحول تلك العادة عندهم الى صورة اخرى [٢] ، وهذه الصورة قد ظهرت في الفرهود الذي نحن بصدده وقد جاء الدكتور الوردي بفرضية اخرى اسماها التنويم الاجتماعي التي تتلخص في ان " الانسان يخضع في حياته الاجتماعية لتنويم يشبه من بعض الوجوه التنويم المغناطيسي وهو ما اسماه

---

[١] د. الوردي ، علي حسين ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، المكتبة الحيدرية ، ايران ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ص ١١ – ١٢ .

[٢] د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج١ ، ص ١٨٢ .

الدكتور الوردي بـ التنويم الاجتماعي ، فالمجتمع يسلط على الإنسان منذ طفولته الباكرة إيحاءا مكررا في مختلف شؤون العقائد والقيم والاعتبارات الاجتماعية وهو بذلك يضع تفكير الإنسان في قوالب معينة يصعب الخروج منها ، وهذا هو الذي يجعل الإنسان الذي نشا في بيئة معينة ينطبع تفكيره غالبا بما في تلك البيئة من عقائد دينية وميول سياسية واتجاهات عاطفية وما أشبه ذلك ، فهو يظن انه اتخذ تلك العقائد والميول بإرادته واختياره ولا يدري انه في الحقيقة صنيعه بيئته الاجتماعية ولو انه نشا في بيئة أخرى لكان تفكيره على نمط أخر " [1]

اذن فالتنويم الاجتماعي يرتبط بالضبط الاجتماعي الداخلي من خلال ارتباطهما بالعرف الاجتماعي وقيم المجتمع ، وكتحليل لواقع المجتمع العراقي حصرا وما حصل به بعد ٢٠٠٣/٤/٩ أي عقب سقوط النظام لابد لنا من العودة إلى فكر ابن خلدون وفكر الدكتور علي الوردي في دراسته لطبيعة المجتمع العراقي ولا سيما حول تأثير البداوة في سلوك أفراد المجتمع ، وكيفية رسوخها في جوانبها المتعددة حيث لان اثر الحضارة يبدو من جانبه المادي المظهري فقط اما الجوانب غير المادية ، واقصد به السلوك الذي يمس لبعض الجوانب القيمية الخاصة منها ، الرجولة والشجاعة والأباء وعدم الخضوع للغريب ، قيم الغلبة والشرف .... فلا تظهر ألا عند الإحساس بمساسها .

هذة قيم بدوية ربما تبدو اكثر وضوحا في أثناء الأزمات وقد تخبو ولا تظهر في مراحل السكون الاجتماعي فمثلا خلال الأزمات السياسية التي مرت في البلاد العربية ومنها العراق الأكثر تأثرا بقيم البداوة نتيجة ارتباطه الأقوى بالصحراء فقد ظهرت بأشكال واضحة كرفضها للادارة الانكليزية ، وبحسب راي الدكتور الوردي ان هذا الرفض لم يكن بسبب حس وطني ولكن لارتباطه بقيم واعراف اجتماعية بدوية ، كعدم الخضوع للغريب .

ثالثا - فرضية الدكتور عبد الجليل الطاهر (فرضية القوقعية) .

---

[1] د . الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، مصدر سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٦ ؛ د. الوردي ، علي حسين ، في الطبيعة البشرية ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٦ ، ص ١١٥ – ١١٦ .

لقد حاول الاستاذ الطاهر ان يدعم فكرته حول القلق والقوقعيه من خلال عرضه كم من المميزات والخصائص التي تبدو فى بعض الاحيان متطرفة وغير واقعية في حين تبدو خصائص اخرى قريبة جداً الى وجه الحقيقة ، استقاه الدكتور الطاهر من التاريخ وحاول مقارنته بالحاضر ، فبينما ان العراق كان مسرحاً خصباً للاحداث والوقائع والحقائق المتناقضة والمتصادمة والمتطرفه في عصور مابعد الفتح الاسلامي والعصرين الاموي والعباسي ومابعد سقوط بغداد عام (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وانهيار الحكم الوطني وخضوع الوطن لموجات من الغزو الاجنبي من مغول وأتراك وفرس وبريطانيين وشعور الانسان العراقي بان الحاكم الذي تنصبه هذه الحكومات الغازية لايمثله ولذا فهو وان يقبل به ظاهرياً فأنه يرفضه من الداخل ويتمنى سقوطه وقد ظلت هذه الحالة تتواتر في مشاعر العراقيين مدة زمنية طويلة مما جعلها تتحول الى عقده مزمنه فصار الفرد يبطن مالايظهر فهو يجامل خوفاً اورغبة في الانسجام مع الاخرين ولكنه يتحمل الاماً نفسيه كبيرة لان مجاملته تكون على العكس من مشاعره الحقيقية ولذا فهو مثلاً يقدم ايات الحب والاحترام لمن يفترض به ان يبغضه ويكرههُ على اشد ما يكون البغض وتكون الكراهية على هذا الاساس فأنه يبنى علاقات سطحية قسرية خارج ولاءاته الحقيقية ولانه لايستطيع ان يعبر عن رأيه بصراحة فانه ينكمش الى الماضي عله يجد في خفاياه ما يستعيده من البطولات والامجاد التي وضعها اجداده او ابناء قومه فيهرب الى الماضي ويركن الى التاريخ ليتخلص من واقعه المؤلم الذي يرى فيه صورة قاتمة من الظلم والاستبداد والذي يتلقاه من جور وظلم الحكام الاجانب [١] .

وبعد هذا العرض البسيط لفرضية الدكتور الطاهر ناتي هنا ونرى هل فرضيته كانت بها بعض اوجه التشابه لما حصل في العراق خلال العقود الماضية (السبعينات الثمانينات ، التسعينات) فالمواطن العراقي كان ينظر الى السلطة الحاكمة بمنظر خوف وريب محاولا الانتقاص منها في اقرب فرصة تتاح له ، وقد حصلت له الفرصة اي عقب السقوط فراح ينتقم منها وذلك بالقيام بسلوك الفرهود بسرقة اموالها بحجة انها كانت من

[١] د. الطاهر ، عبد الجليل ، القوقعية والقلق في الشخصية العراقية ، مقال في مجلة المثقف العربي ، ع ١١ ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٤١ – ٤٢ .

حقه وليس من حق الحكومة متناسيا انها ملك لجميع افراد المجتمع العراقي وان الحكومة ما هي الا وصية على هذا الاموال وانها في يوم ما سوف تنتهي وتاتي حكومة اخرى للقيام بمهام وظيفة جديدة ، فراح يصب غضبه بسرقة اموالها دون رادع او خوف خصوصا بعد ان تعطلت اجهزتها الامنية (القانون ووسائله) * .

رابعا- نظرية دوركهايم (الانومي)

لقد حاول دوركهايم ان يفسر لماذا يؤدي عدم التضامن الاجتماعي الى الفوضى وعدم تحقيق الوظائف الاجتماعية الرئيسة وبالتالي وجود ميل واتجاه نحو التفكك الاجتماعي الذي يعمل على اشاعة عدم الاستقرار والى انحلال عوامل التنظيم المختلفة للنسق الاجتماعي وقد سمى دوركهايم هذة الحالة الانومي (Anomia) او فقدان المعايير (Normlessness) الضبطية السلوكية وهي حالة التردي الاخلاقي والنفسي على مستوى الفرد وثانيهما فقدان المعايير حيث يسود التدهور القيمي وضعف الضوابط وضعف الحالة الامنية والتناقض بين الامكانات والاهداف ان الازمات والحروب تترك مشاكل كثيرة بلا حلول وامال لا تتحق وتوترات اكثر حدة قد تخلق مجتمعا محطما في نواح كثيرة ويصيب هذا التاثير قوى كثيرة اخرى .

ويشير دوركهايم الى ان المجال الذي ينمو فيه الانومي او الفوضوية هو المجمتع ، فالمجتمع يعد قوة تنظيم لعواطف الافراد وسلوكهم ومصدر هذا النوع من الانحراف هو ما يطرا على المجتمع من اضطراب نواحي النشاط فيه وما يسوده من اختلال في نظامه بسبب التغيرات الحادة المفاجئة كالازمات الاقتصادية او الحروب او اختلال التكامل

* قام الباحث باخذ ردود افعال المواطن اثناء تواجده في احد مخازن الحكومة للسلع التموينية في الايام الاولى لقيام الفرهود وسال عددا من الموجدين لماذا يقوم بهذا الفعل باجاب الكل على الاطلاق انهم كانوا محرومين وهذا هو حقهم لانهم قد سلبت منهم هذا الحق وجاء اليوم لكي يردوا الحق الى اصحابه .

الاسري وانقلاب وسائل الانتاج وينشأ عن ذلك تفتت سلسلة العلاقات الاجتماعية التي كانت حالتها السوية تهيئ للفرد شعورا بالطمأنينة [١] .

ان غياب التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الذين تجمعهم أهداف اجتماعية مشتركة قد يقود إلى اضطراب وظائف المجتمع والى حالة التفكك الاجتماعي .

فالحروب المتكررة على العراق ادت لبعض من افراده الى حدوث ضياع المعايير الاجتماعية المسؤولة عن تنظيم علاقات الأفراد مما دفعهم الى انتهاك حرمة بيوت بعض المواطنين وكذلك بعض مؤسسات الدولة .

فالقيام بالفرهود اي سرقة ممتلكات الدولة وممتلكات الافراد بغياب القانون وهو الذي جرى في العراق ، فالذين قاموا بهذا العمل تجاوزوا القيم والمعايير الاجتماعية كما انهم تجاوزوا الاسس الدينية وايات القران الكريم او اي من الديانات الاخرى في تحريم السرقة ، فالحالة هنا ان بعضا من افراد المجمتع فقدوا بعضا من المعايير الاجتماعية التي تتضمن فيها القواعد المسؤولة عن توجيه سلوك الأفراد وتنظيم نشاطهم وهذة غالبا ما تؤدي إلى اختلال إدراكهم السليم للتميز بين ما هو مشروع وغير مشروع وقد يعني هذا أيضا وقوعهم في الاختلال النفسي وقد يدفع هذا الحال بعض الأفراد إلى التماس أي طريق ميسور حتى وان كان غير مشروع [٢] .

---

[١] د. مصطفى ، عدنان ياسين ، السلوك المنحرف في ظروف الازمات ، بحث منشورة ضمن سلسلة المائدة الحرة بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ؛ دوركهايم والانومي ، مقالة منشورة عبر شبكة الانترنت على الموقع http://www.hewtt.norfolk.suh.uk .

[٢] الدوري ، عدنان ، جناح الاحداث ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠٣ – ٢٠٧ .

بعض نظريات علم الاجرام

١- النظرية الاقتصادية .

٢- المدرسة الاجتماعية .

٣- المدرسة الايكولوجية .

٤- مدرسة العوامل المتعددة .

النظرية الاقتصادية

تنقسم الظروف الاقتصادية من حيث صلة الفرد بها على قسمين عامة وخاصة فالظروف العامة تشمل الجماعة باسرها ولا تخص فردا بعينه فيها ، (حالة الكساد او الرخاء العام) اما الظروف الخاصة فتشمل الافراد كلا على حدة ومن اهمها (التفاوت من اليسر او العسر ، ومن العمل او البطالة) .

الباحثون الذين فتنوا بالمذهب المادي ، منهم من عزا الاجرام لاسيما في المجتمعات الراسمالية الى طبيعة النظام الاقتصادي السائد فيها ، بدعوى ان هذا النظام يؤدي الى الاجرام على سبيل المثال الخلل في توزيع الثروات وما يصحبه من ظلم واستغلال [١] .

ومن جانب اخر يرى البعض ان عدم الاستقرار الاقتصادي والفقر والحرمان يؤديان دورا مهما في احتمال الإصابة بالاضطرابات النفسية ، إذ يعد عدم الاستقرار الاقتصادي تهديدا لمصدر العيش والمكانة والتقدير الذاتي ، ويمكن النظر إلى انعدام فرص العمل كموقف ضاغط لان ذلك يعد مصدرا للاضطرابات النفسية والى ارتكاب الجريمة أيضا [٢] .

وقد ينطبق هذا القول على حالة ارتكاب البعض بعملية الفرهود اذ ان الضيق الاقتصادي للبعض والحصار الاقتصادي المفروض على المجتمع كان من العوامل الاقتصادية التي ساعدت للقيام بهذا السلوك .

المدرسة الاجتماعية

---

[١] د. محمد ، عوض ، مبادئ علم الاجرام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

[٢] محمد ، علي محمد واخرون ، دراسات في علم الاجتماع الطبي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

لقد اكدت هذة المدرسة مسالة واقعية هي ان المجرم هو نتاج وحصيلة المجتمع واصحاب هذة المدرسة اعتقدوا ان الجريمة والجنوح ما هي الا نتيجة للعوامل الاجتماعية ، فالظروف المحيطة بالفرد التي لا يمكن ان يتحملها بعضهم تؤدي الى سلوك الطرق التي حرمها القانون .

وقد اكد علماء اجتماع كثيرون على دور العوامل الاجتماعية واعتقدوا ان الجريمة هي ظاهرة اجتماعية اساسها الانسان وردود فعله والظروف المحيطة به فمثلا ان الزيادة في الكثافة السكانية يؤدي الى اختلاف او اختلال المعايير الجمعية التي بدورها تؤدى الى الانومي Anomie او الضياع او الحالة غير النظامية المشوشة التي تساعد على خلق الجريمة .

اما روبرت مرتن عالم الاجتماع الامريكي فقد وضع نظريته الفرص المغلقة Closed Opportunities لتحقيق الهدف واثرها في السلوك المخالف للقانون الجنائي واعتمدوا على اعتقاد الغاية تبرر الوسيلة ويريد مرتن من اصحاب النظرية البنائية التي ينادي اصحابها على وجود نوع من الطموحات والقدرات والمواهب لدى بعض الأفراد ولكن لا تتوفر لديهم فرصة لابرازها بطرق مقبولة اجتماعيا فيتجهون لابرازها بطرق غير شرعية فيظهر السلوك الإجرامي أو الاضطراب السلوكي [١]

المدرسة الايكولوجية

ان اصحاب هذة المدرسة يؤمنون بأن الظروف الايكولوجية المحيطة بالفرد من اهم العوامل التي تدفع الى السلوك الاجرامي وان اول من نادى بالفكرة الايكولوجية في امريكا علماء الاجتماع من جامعة شيكاغو وعلى راسهم كل من روبرت بارك و ايرنست بيرجس سنة ١٩٢١ ، وكانت فكرة هذين العالمين ان المنطقة في المدينة هي التي تحدد سلوك الافراد [٢] .

---

[١] د. الجميلي ، فتحية عبد الغني ، الجريمة والمجتمع ، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص ٨٩ ؛ الربايعة ، احمد ، اثر العوامل الاجتماعية في الدوافع الى ارتكاب الجريمة ، مقالة منشورة في مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مج ٣ ، ع ١ ١٩٨٨ ، ص ٦٨ – ٦٩ .

[٢] د. الجميلي ، فتحية عبد الغني ، الجريمة والمجتمع ، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص ٩٩ .

ويمكن القول هنا ان سكان المناطق الشعبية والفقيرة قد يكونوا اقرب الى ارتكاب الجريمة من غيرهم بسبب وجود نوع من العوز المادي والحرمان من متطلبات الحياة والتهميش في الحياة الاجتماعية ، فضلا عن وجود نوع من الخصائص التي يتسم بها سكان هذه المناطق عن غيرهم من المناطق الاخرى او قد يكون احيانا العكس لدى سكان الطبقات المتوسطة او فوق المتوسط او الغنية هم في حالة غياب اجهزة القانون كان يقدمون الى ارتكاب الجريمة اكثر من غيرهم ، وهذا ما نادى به العالم سذرلند عن مثل هؤلاء (مجرمي الياقات البيضاء ، White clean criminals) .

مدرسة العوامل المتعددة

لقد فسرت هذة المدرسة الجريمة على اساس ان السلوك الاجرامي عبارة عن تفاعل عوامل مختلفة بايولوجية ، نفسية ، مرضية واجتماعية ، فلا يمكن ان تحدث الجريمة بسبب عامل واحد ، فهي ظاهرة اجتماعية معقدة تحدث من تفاعل مختلف العوامل ، فالمؤثرات الخارجية على الفرد مهما تكن من القوة لا يمكن ان تحدث سلوكا اجراميا ما لم تتفاعل مع ظروف وعوامل اخرى [١] .

ان هذه المدرسة لاترى كل عامل من هذة العوامل سببا في ذاته يفضي الى الجريمة بحكم الضرورة ، بل بوصفه عاملا يحتاج الى عوامل اخرى تشد ازره ، والى عوامل اخرى تتجافى عنه لكي تقع الجريمة في النهاية ، وبعبارة اخرى رفض فكرة العامل الواحد لوقوع الجريمة بل لابد من عوامل اخرى [٢] .

---

[١] د. الجميلي ، فتحية عبد الغني ، الجريمة والمجتمع ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢ .

[٢] د. محمد ، عوض ، مبادئ علم الاجرام ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢١ .

نظرية نيل سملسر N. Smelser .

استمد نيل سملسر نظريته التي اسماها (القيمة المضافة Value Added) من علم الاقتصاد ، فقد كان سملسر من السوسيولوجين الذين اهتموا بدراسة علاقة الاقتصاد بعلم الاجتماع مستعينا بتصوره لمراحل ستة حددها ، وان كل مرحلة تحدد ناتجا سلوكيا معينا يضاف الى المرحلة التي تليها لتزاد القيمة الفعلية للسلوك وهكذا حتى تمهيد لظهور السلوك الجمعي ، والان نحاول ان نذكر هذة المراحل مع المحاولة لتطبيقها على ما حصل في المجتمع العراقي خلال الثلاثين سنة الماضية متوصلين الى قيام سلوك جمعي متمثل ب(الفرهود) :

المرحلة الاولى : مرحلة التهيئة البنائية (Structural Condueirness) .

يشير سملسر بذلك الى ان ثمة ظروف معينة ذات طبيعة بنائية تعد ظروفا ممهدة تفضي او تشجع على ظهور حوادث معينة للسلوك الجمعي ، فعلى سبيل المثال في المجمتع الذي يتميز بصراع طبقي حاد ، او بظروف سياسية معينة فان من المتوقع لمثل هذة الظروف ان تهئ او تقضي لظهور السلوك الجمعي ، غير ان تلك الظروف لوحدها ليست كافية بل يجب ان نضيف مجال الاحتمالات التي تؤدي الى ظهور هذا السلوك او غيره من خلال اضافة محددات اخرى [١] .

والان ناتي الى تطبيق هذة المرحلة على المجتمع العراقي فالوضع الاقتصادي المتردي في اثناء الحقب التاريخية المعاصرة التي مرت على العراق ، حيث كان يتمتع بعض افراد المجتمع على حساب البعض الاخر بالمال والسلطة والنفوذ وقوة الاكراه السياسي والارغام على قبول الامر الواقع مما خلق مجتمعا فيه طبقة تمتلك كل شيء وطبقة لا تمتلك اي شيء مع غياب الطبقة الوسطى المؤثرة في المجتمع وانعدام العدالة الاجتماعية ، وهذة الظروف تفضي الى ظهور السلوك الجمعي ، وعلى الرغم من عدم ظهوره بشكل واضح ذلك لانه بحاجة الى احتمالات اخرى تضاف لهذا الواقع وتؤدي الى ظهور هذا السلوك اوغيره .

---

[١] د. حافظ ، ناهدة عبد الكريم ، سملسر ونظرية السلوك الجمعي ، مقال منشور في مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد السنة ٢٠٠٥ ، ص ٣٨ –٣٩ .

المرحلة الثانية : مرحلة التوتر البنائي Structural Strain

وهذة المرحلة تمثل نوعا من التطور او تفاقم لظروف المرحلة الاولى ، فقد ذكر سملسر على سبيل المثال الحركات ذات الطابع الاصلاحي او الحركات الثورية فقد تمتزج المرحلة الاولى مع ظروف المرحلة الثانية فتحدد الاحتمالات الممكنة لظهور سلوك جمعي وليس سلوكا اخر [١] .

والان ناتي ونطبق هذة المرحلة على المجتمع العراقي ان المجتعات المحرومة التي عانت انتهاكات حقوق الانسان وعانت من عدم العدالة الاجتماعية اكثر من غيرها نذكر على سبيل المثال لا الحصر التهجير القسري للاكراد الى ايران والجماعة المزعومة بالتبعية الايرانية الى خارج الحدود وكذلك الانتفاضة في عام ١٩٩١ التي قامت في مدن جنوب العراق وفي الفرات الاوسط كانت نداء للتوتر الحاصل من جراء هذه الحالات ، ففي هذة الانتفاضة يلاحظ سلوكا جمعيا ظاهرا في عمليات التخريب لمتلكات العراق ، وتبعتها الى ذلك محافظات الطرف الاخر باستثناء مناطق محدودة كانت تدين بؤلائها للنظام بسبب تمتعهم بالمناصب والسلطة والنفوذ ، وهذة الحالة تمثل سلوكا جمعيا لاغرض اصلاحية للتخلص من الظلم الاجتماعي وانعدام العدالة عليه تعد هذة المرحلة ممهده لظهور سلوك جمعي موحد .

المرحلة الثالثة : مرحلة نمو وانتشار عقيدة معممة

Growth and spread of generalized belief

ان المرحلتين السابقتين وهما مرحلة البناء البنائي والتوتر البنائي تتبع كل منهما تشكيل للموقف ، وهذا التشكيل يقضي ان يكون الموقف نفسه ذا معنى لمن يشاركون فيه وهذا المعنى المشترك لا يتحقق الا اذا وجدت عقيدة عامة يشترك فيها المشاركون في الموقف ، ومهمة هذة العقيدة ان تحدد مصدر التوتر ، وخصائصة ونوع الاستجابة

[١] د. حافظ ، ناهدة عبد الكريم ، سملسر ونظرية السلوك الجمعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩ .

المطلوبة لذلك التوتر وبذلك تكون هذة المرحلة بمثابة الاطار الفكري او الفلسفي الذي يوجه انشطة او تصرفات المشاركين لمواجهة موقف التوتر [١] .

والان نأتي الى وضع المجتمع العراقي لكي نطبق هذة المرحلة ، فبعد الحرب العراقية الايرانية والابادة الجماعية في الشمال في حلبجة وفي الجنوب مما ساعد على تكوين حالة من الارهاب النفسي والاتهام بعدم الولاء للنظام مما دفع النظام الى سحب الجنسية العراقية منهم ووصفهم بالمخربين ، وفي مرحلة الحصار الذي شمل افراد المجتمع العراقي وما تبعه من التضخم في سعر الدينار العراقي وبالتالي خلق نوع من العوز والحاجة وتدني وضع المواطن العراقي في اسلوب معيشته من حيث الغذاء واللبس والسكن وامور اخرى ، ادت به الى تعميم صورة النقمة والغضب .

المرحلة الرابعة : العوامل المعجلة Precipitating Factors

في حالات معينة ، تتحقق المراحل المشار اليها ، ولكن السلوك الجمعي لا يقع الا ان تكون هنالك عوامل معجلة قد تعزز او تبرر الخوف والضغينة التي تنطوي عليها العقيدة العامة ، وتكون بداية لشرط التوتر ، او قد تعيد الشروط البنائية المهيئة للسلوك الجمعي [٢] .

ونرى الان كيف نطبق هذة المرحلة على المجتمع العراقي فالاستمرار في تردي الاوضاع السياسة والاقتصادية بسبب طول مدة الحصار ، واستمرار زيادة الاكراه السياسي تجاه النظام من قبل المواطنين وعسكرة المجتمع واستخدام صيغ العنف الموجهة ضد افراد المجتمع ، مما عززت هذة الصيغ الضغينة ضد النظام ولا سيما كانت لدى الجميع عقيدة عامة وكانت هذة بداية للسلوك الجمعي ، فهذة المرحلة اعادت الشروط البنائية في المجتمع التي هيأت السلوك الجمعي

[١] د. حافظ ، ، ناهدة عبد الكريم ، سملسر ونظرية السلوك الجمعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٤٠ .

المرحلة الخامسة : تحرك المشاركين للقيام بفعل :

Mobilization of Participants for action

في هذة المرحلة يتحرك الافراد للقيام بفعل معين ، فاذا ما توفرت الشروط المناسبة فان الشرط الوحيد المتبقي هو ان تقوم الجماعة بفعل ، هذة المرحلة تميز بدء حالة الرعب وحالة العداء ، وبداية التحريض على الثورة وفي هذة المرحلة وكما يصف سملسر يصبح سلوك القادة مهما لتوجيه حركة الجماعة باتجاه معين [١] .

اكد سملسر على توفر الشروط المناسبة لقيام الجماعة بالسلوك الجمعي ولعل هذه النقطة تكون واضحة عندما حصل الانفلات السلوكي (الفرهود) في العراق عقب سقوط النظام فيه في ٢٠٠٣/٤/٩ ، فهنا وقف القانون واصبح معطلا وكذلك جميع اجهزته وبالتالي لم يبق اي رادع للقيام بالسلوك الجمعي الا الضابط الاخلاقي والديني والذي يكون هنا قد ضعف من قبل بعض افراد المجتمع العراقي الذين قاموا بمثل هذا السلوك او قاموا بالتحريض للقيام به من فبل افرد اخرين في المجتمع العراقي .

المرحلة السادسة : مرحلة الضبط الاجتماعي Social control

ان المراحل المشار اليها سابقا كانت تنطوي على شروط وظروف او عوامل تؤدي بتمازجها الى ظهور السلوك الجمعي ، فان المرحلة السادسة هي مرحلة الظروف والعوامل المضادة التي تمنع تراكم العوامل المذكورة في المرحلة السابقة ويمكن تقسيم الضوابط الاجتماعية على نوعين :

١- العوامل التي يقتفي اثر العوامل المفضية الى التوتر ، اي ان هذة الضوابط تمنع ظهور السلوك الجمعي .

٢- الضوابط التي تفعل فعلها وتمارس اثرها بعد ظهورذلك السلوك [٢]

ونحاول الان تطبيق هذة المرحلة على المجتمع العراقي ففي هذة المرحلة ضعف دور مؤسسات الضبط الاجتماعي والمتمثل باول هذة المؤسسات الا وهي الاسرة والتي

---

[١] د . حافظ . ناهدة عبد الكريم ، ، سملسر ونظرية السلوك الجمعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠

[٢] المصدر السابق ، ص ٤١-٤١ .

سبق وان وضحنا كيف كان دورها ضعيفا خلال الـ ١٥ سنة الماضية وبالتالي كان ضعفها احد اسباب قيام الفرهود فضلا عن مؤسسات اخرى ضعف دورها (المدرسة ، القانون ، الدين) .

نحاول هنا ان نضع اسباب قد تكون هي تفسيرات لما حصل من انفلات سلوكي في العراق وتكرار ظاهرة الفرهود التي قد تكون ملازمة لاي حالة من الاظطرابات السياسية في العراق .

لذا سوف نركز على ثلاثة جوانب اساسية في وضع الاسباب لهذة الظاهرة علما ان كل جانب سوف يركز على مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية و التي سوف توضح السبب للقيام بهذا الفعل والقائمين عليه وهي كالاتي :

اولا : الجانب السياسي .
ثانيا : الجانب الاقتصادي .
ثالثا : الجانب الاجتماعي .

اولا : الجانب السياسي :

واجه العراق عدم استقرار سياسي منذ مراحل طويلة والمعروف ان عدم الاستقرار السياسي هو من المشكلات الخطرة التي تواجهها دول العالم الثالث لما تمتلك من تأثيرات سلبية في مجالات حياتها المختلفة و يأخذ أنماطا متعددة ومختلفة قد نجد بعضها في بلد ما أو قد نجدها مجتمعة في حالة واحدة فمن الانقلابات العسكرية والدور غير الاعتيادي للجيش في الحياة السياسية إلى الحروب الأهلية وحركات التمرد والانفصال والصراعات الحزبية والدينية والطائفية العنيفة وكل أشكال العنف السياسي سواء كانت فردية أم جماعية [1] .

فعلى الصعيد العسكري في العراق نجد ان هناك نزعة لعسكرة المجتمع العراقي التي لم تكن وليدة الحرب العراقية الايرانية كما يتصور البعض ، لكنها بدات بعد سلسلة الانقلابات السياسية ، فقد اخذت الحكومات المتعاقبة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تبدي اهتمامنا متزايدا بالجيش من حيث الاعداد والتسليح انطلاقا من ان رؤساء تلك الحكومات كانوا غالبيتهم ضباط في الجيش العراقي *

[1] عزيز ، رياض ، المشكلات السياسية في العالم الثالث ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ ، ط ٢ ، ص ٢٩١

* (عبد الكريم قاسم ، عبد السلام عارف ، عبد الرحمن عارف ، احمد حسن البكر) .

كما بدأت عمليات مبرمجة لتسييس الجيش العراقي ، فيما ارتفع عدد سكان العراق الى ثمانية ملايين وبذلك كان عدد الجيش يزداد باظطراد فوصل الى خمس وسبعين الف جندي وتجاوز افراد الجيش نسبة السكان وهي جندي لكل ١٥ الف نسمة وقد ابتدا فصل جديد حينما اقفل البعثيون بداية المواقع الحساسة والوزارات امام عموم الشعب فاصبحت بالتدريج لا يدخلها الا البعثيون او المنتمون الى الحزب مهما كانت درجاتهم وتحول الجيش بعدها الى اداة بيد القيادة الحزبية [١] .

اما فيما يخص الانفاق العسكري الذي طغى على الجوانب الاخرى في العراق فادى الى قلتها وبالتالي التقصير في واجباتها .

كان الانفاق العسكري عام ١٩٧٠ اقل من بليون دولار لاغراض الدفاع او ما يعادل ٤,١٩ % من الناتج المحلي الاجمالي وارتفع هذا الرقم الى ١,٣ بليون دولار عام ١٩٧٥ اي نحو ٨,٢٢ من الناتج المحلي الاجمالي وازداد هذا الرقم عام ١٩٨٠ الى ٨,١٩ بليون دولار اي ما يعادل ٨,٣٨ % من النتاج المحلي الاجمالي ، لقد استنزف هذا الانفاق العسكري الهائل ما يعادل ٧٥ % من الايرادات النقطية وانفق النظام في السنوات الاحقة اضعاف ما انفقه لتمويل الحرب ضد ايران ، وهكذا شهد عام ١٩٨٠ ارتفاع نفقات العراق العسكرية ٤,٦ بليون دولار ووصل عام ١٩٨٣ الى ١,٢٥ بليون دولار وقفز الى ٣,٢٥ بليون عام ١٩٨٤ [٢]

اما فترة الخدمة العسكرية سواء الالزامية او التطوع فيه فقد وصلت الخدمة الالزامية لبعض المواليد خاصة ١٩٥٧ – ١٩٦٠ الى حوالي ١٣ سنة * .

---

[١] الهاشمي ، حميد ، عسكرة المجتمع العراقي ، رؤية انثروبولوجية في مظاهرها واثارثار السلبية ، مقال منشور في مجلة علوم انسانية ، ع ٧ ، مارس ، ٢٠٠٤ ، و المنشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://www.uluminsania.com

[٢] الهاشمي ، حميد ، عسكرة المجتمع العراقي ، مصدر ذكره .

* كانت حرب ايران لمدة ٨ سنوات وما تبعها من حالة ما يشبه الحرب بالنسبة للمتطوعين فانها تعدت ٢٥ او حتى ٣٠ سنة ، اضافة الى وجود الجيش الرسمس كان هناك الجيش الشعبي .

وكان هناك تعدد في الاجهزة العسكرية وشبه العسكرية الى جانب الجيش النظامي *.

ومن جانب اخر نرى وجود هشاشة في النخب العسكرية للدولة العراقية منذ عام ١٩٦٨ لغاية عام ١٩٩٢ [١] .

لقد تجسد ذلك الانهيار المؤسسي في عمليات التخريب غير المبررة التي وصفها الكثير من الناس بأنها معتمدة ومخطط لها هي مسالة إحراق مؤسسات الدولة بعد سرقة محتوياتها ، وقد حدثت مثل هذه الأعمال وبشكل محدد في بعض محافظات القطر خلال حرب الخليج ولكن النظام السابق أعاد تلك المؤسسات إلى العمل بشكل فوري حال بسط نفوذه على تلك المناطق مرة أخرى وذلك لم يستغرق اكثر من أيام معدودة [٢]

* الجيش الشعبي الذي تشكل من خلال اصدار الرئيس العراقي السابق احمد حسن البكر تعليمات بتدريب الشعب على السلاح لتمكينهم من استعمالة للدفاع عن السلطة ، ثم صدر قرار مجلس قيادة الثورة الخاص بتشكيل الجيش الشعبي في العراق بقيادة طه ياسين رمضان ، عضو مجلس قيادة الثورة ، عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي يرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة ، احمد داود سلمان ، الجيش الشعبي ، مجلة الجيش الشعبي ، ع ١ السنة الاولى ، تموز ١٩٧٧ ، ص ١٠ ؛ فدائيو صدام تاسست هيئة عسكرية شعبية اطلق عليها اسم فدائيو صدام ومن اهم مهامها الدفاع عن الرئيس ونظامه اكثر من الذهاب عن العراق وحمايته وقد زود بالسلاح وكان لابد من اختيارات دقية لاعضاء هذة المنظمة التي يجب ان تدين بالولاء الكامل لابن الرئيس ومؤسساته وطموحاته قبل اي شيئ اخر ، قوات الامن مقال منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://arabic.cnn.com ؛ اشبال صدام اعمار طلبة المتوسطة والاعدادية يكملون بعدها في فدائيو صدام ، العراق بين الحرية والمستقعات مقال منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://www.alwatan.com ؛ جيش القدس : بعد لقاء موظفي الدولة مع صدام و ممثلي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جامعات العراق في ٣ تشرين الاول عام ٢٠٠٠ دعى شعب العراق للتطوع مجاهدين لتحرير القدس ، جريدة الثورة ، ع ١٠١٢٠ في ٤ تشرين الاول ، ٢٠٠٠ وقد حدد تشكيل هذا التنظيم في القرار ٢١٩ ، في ١٧/كانون الاول ٢٠٠٠ لتعبة متطوعي يوم القدس في تشكيلات مقاتلة جريدة الوقائع العراقية ، العدد ٣٨٥٨ في ٢٥ كانون الاول ٢٠٠٠ ص ٩٩٦ – ٩٩٧ ؛ افواج الاستشهاديون والاستشهاديات : والتي تكونت هذة الفصائل بعد عام ٢٠٠٠ نساء ورجال ما بين ١٨–٣٥ سنة

[١] ال مانع ، فلاح حسن ، المجتمع المدني في العراق دراسة تحليلية في علم الاجتماع السياسي ، مصدر سبق ذكره ص ٣١ .

[٢] الحسني ، باسل جودت ، السياسات الاقتصادية في العراق ، الواقع الراهن مع نظرة مستقبلية ، مقال منشورة في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٥ ، ٢٠٠٣ ، الشهر ٩ ، ص ٩١ – ٩٩ .

فضلا عن ذلك نرى أن مظاهر الخروج على القانون في العراق قوبلت بتجاهل ومرت بلا عقاب منذ سقوط النظام في نيسان حينما سمح لاعمال النهب بان تقع تحت عين قوات الاحتلال [١]

ثانيا : الجانب الاقتصادي .

لقد شمل هذا الجانب تاثيرات تعرض لها المجتمع العراقي في نهاية الستينات والسبيعينات والثمانينيات * فكان ازدواج الطابع الاقتصادي للدولة بوصفها دولة نفطية ريعية ودولة منتجة في ان واحد [٢] فضلا عن وجود مجتمع التهميش الذي انضمت أليه في السنوات الأخيرة الفئات الوسطى التي أصبحت بحاجة إلى مساعدة اجتماعية بعد التدهور الكبير الذي شهدته وضعيتها الاقتصادية الاجتماعية في عقد التسعينات ، لقد أحدثت السنوات العشر الأخيرة شلل مؤسسيا تاما هدد مصادر الحياة وجعل المجتمع ولا سيما الفئات الأكثر عرضة للتهميش ، في حالة حرمان من مصادر إشباع الحاجات الأساسية ، ولعل اخطر نتائج الحروب والحصار هو بث التضخم في جميع مناحي الحياة وبسبب استمرار الحالة لمدة طويلة فان التضخم له أثار بنيوية على المجتمع العراقي بمعنى أن كثيرا من الممارسات والأفعال قد تماسست و ترسخت في عمق الممارسة اليومية الاجتماعية ، بحيث حازت الياتها على الاعتراف الاجتماعي وتغلغلت في الحس الجمعي للناس في الريف والمدينة وبنبوئة الظاهرة هو مكمن خطورتها ، لان زوالها أمر مستحيل وإذا فأنها تظهر بكيفيات مختلفة ، فكلما فاقم التضخم من انخفاض القيمة الشرائية للنقد أدى ذلك إلى تدهور اكبر في القيم لذلك يتعين على السياسات القريبة والبعيدة أن تدرك انه من المحتمل أن تشكل الفئات الهامشية وقودا لمعارك تدميرية ، أن هذه الفئات التي تتردى أوضاعها يوميا تشكل الكتلة الكبرى في اللوحة الاجتماعية الراهنة ، وتصبح موضوعا

---

[١] فرانكي ، رند رحيم ، مراقبة الديمقراطية في العراق ، مقال منشورة في مجلة المستقبل العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٢ .

* ذكرنا في الفصل الثالث من الرسالة هذة التاثيرات والتي بضمنها الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق .

[٢] ال مانع ، فلاح حسن ، المجتمع المدني في العراق دراسة تحليلية في علم الاجتماع السياسي ، مصدر سبق ذكره ص ٣٣ .

للرهان والصراع والخطابات الراديكالية الساعية لجذبها إلى حلبة الصراع وتغيير ميزان القوى .

أن التحولات المجتمعية السريعة التي شهدها المجتمع العراقي في عقد التسعينات * التي بدأت تأكل المكاسب التنموية التي تحققت في عقد السبيعينات فضلا عن انهيار الطبقة الوسطى وتدني مستويات المعيشة وارتفاع معدلات الفقر ، كلها عوامل أدت إلى زيادة التوترات الاجتماعية وفتحت الطريق أمام المزيد من الانتكاسات المتكررة التي عرضت البناء الاجتماعي لعدم الاستقرار ، فضلا عن تزايد معدلات التمايز الاجتماعي في المجتمع العراقي ، في الوقت الذي بقيت فيه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية توسع من رقعة الفقر والحرمان بمختلف صوره وأشكاله وشيوع مظاهر الفساد الإداري (الرشوة الاختلاس ، التهريب ....) [١] .

لقد كان وصول الحالة الاقتصادية إلى هذا المستوى المتدني وتأثيراتها على حياة الإنسان العراقي بمثابة إنذار يوشك حصول انفجار كبير اجبر الحكومة على قبول برنامج النفط مقابل الغذاء ، ومع إعلان موافقة الحكومة على هذا البرنامج وخلال اقل من ثلاثة أيام انخفض سعر الصرف إلى اقل من ٥٠٠ دينار للدولار الواحد مما تسبب في خسائر كبيرة للعديد من أصحاب الأعمال والتجار ، وهو تهيئة للانفجار .

ولا ننسى ظاهرة البطالة التي كانت تشكل عبء من الأعباء الأخرى التي يعانيها العراق ولقد اظهر إحصاء عام ١٩٩٧ أن حجم السكان في سن العمل بلغ ٥٣ بالمئة من مجموع السكان أي بحدود ١٢ مليون شخص مع ان القدرة على أيجاد فرص عمل لهذا العدد الكبير من السكان يعتمد على قدرة الدولة على الأنفاق وخلق فرص العمل وتشجيع القطاع الخاص لان السياسة الاقتصادية منذ عام ١٩٩٥ استهدفت تقليص الأنفاق الحكومي وعدم خلق وظائف جديدة أو منح زيادات في الرواتب والأجور [٢] .

---

* كان الحصار الاقتصادي من اهم هذة التحولات المجتمعية السريعة وما تبعه من تاثيرات على الجانب الاجتماعي وجوانب الحياة الاخرى ، فرض الحصار في ١٩٩٠/٨/٦ ورفع في ٢٠٠٣/٥/٢٣ .

[١] مصطفى ، عدنان ياسين ، التنمية الاجتماعية في العراق المسارات والافاق مع التركيز على شبكات الامان الاجتماعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٢-٨٠ .

[٢] الحسني ، باسل جودت ، السياسات الاقتصادية في العراق ، الواقع الراهن مع نظرة مستقبلية ، مصدر سبق ذكره ص ٩١ – ٩٩ .

اما على صعيد الشباب نرى ان الحصار ادى الى عدم حصول الشاب على ثقافة اجتماعية تتناسب مع مرحلتهم العمرية فقد تبين في دراسة اجريت اثناء حقبة الحصار ان من بين ٢٠٠ مبحوث ان ٨٠% منهم يرون انهم لايمتلكون ثقافة اجتماعية في حين اشار ٢٠% انهم يمتلكون ثقافة اجتماعية [١] .

الجانب الاجتماعي

لقد برزت ظاهرتان ديمغرافيتان متلازمتان في المجتمع العراقي هما الانفجار السكاني والتحضر السريع ، وأدت ظاهرة التحضر الى زيادة عدد المدن ونموها العمراني والسكاني وانتقال أعداد كبيرة من سكان الريف والمدن الصغيرة إلى المدن الكبيرة ولا سيما العاصمة بغداد وما رافق ذلك من تحول في المهن والقيم الحضرية الجديدة المحلية منها والوافدة [٢]

أن المدن الرئيسة في العراق قد تشكلت أساسا من الهجرة المستمرة وبشكل خاص هجرة عشائر معينة تستقر في مناطق محدودة من المدن الكبرى وكانت تلك المدن تستوعب وتصهر تلك الجماعات وتحاول إدخالها في نظامها الاجتماعي والاقتصادي ، ويمكن أن نقول أن المدينة تحاول توظيف القيم والتقاليد الوافدة أليها وبالتالي فان العشائر الوافدة إلى المدينة سوف تحمل معها قيم العصبية وتقاليد عزة النفس ورفض الهيمنة الخارجية وتسعى للحفاظ عليها داخل مجتمعاتها السكنية في أحياء المدن الكبرى [٣]

ولهذا وقع سكان المدن تحت وطأة تيارين متناقضين من القيم يؤكد أحدهما الماديات ويتشبث الأخر بالروحانيات ، يدفع الأول نحو الأخذ بالقيم الحضرية الجديدة ويدعو الثاني إلى التمسك بالقيم التقليدية المكتسبة من الأباء والأجداد ، مما أدى هذا

---

[١] الخفاجي ، ظافر كاظم ، الاثار الاجتماعية للحصار الاقتصادي على طلبة المدارس الثانوية ، مصدر سبق ذكره ص ١٤٥-١٤٦ .

[٢] اسماعيل ، نبيل نعمان ، الجرائم الاقتصادية في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

[٣] ياسين صباح ، في ظل الاحتلال الأمريكي : العشائر العراقية ثقل الحضور ومخطط الاحتواء ، مقال منشور في مجلة المستقبل العربي ، ع ٣٠٢ ، ٢٠٠٤ ، الشهر ٤ ، ص ١٩ – ٢٠ .

التناقض إلى ظهور تيارات من الصراع الحضاري الشديد والتفكك الاجتماعي والتحلل الشخصي [١]

فلنأخذ مثاليين عن طبيعة التناقض الذي ادى الى حدوث حالة الصراع الحضاري الشديد والتفكك في المجتمع العراقي :

المثال الاول

دراسة حسين عجيل حسين الموسومة الصراع بين القانون الوضعي والعرف الجماعي وضح في الجانب الميداني موضوع الالتزام بعادات وتقاليد العشيرة لعينة هذة الدراسة والبالغة ٣٠٠ اسرة كانت نسبة ٧٠ % من الريف يلتزمون بالعادات والتقاليد بينما كانت نسبة ٤٥,٣ % من الحضر يلتزمون بالعادات والتقاليد ومن المعروف ان من عادات وتقاليد الريف من صفات البداوة (الكرم ، الشجاعة ، الوفاء السلب والنهب) بينما اشارت نفس الدارسة الى الجهات التي يلجا أليها المبحوثون في حالة حدوث مشاكل خاصة أو عامة ، وكانت النسبة ٦٩,٣ % يلجئون إلى عرف الجماعة وتقاليد العشيرة بينما كانت نسبة ٣٠,٣ % يلجئون إلى دوائر الدولة من المنطقة الريفية ، بينما كانت نسبة ٣٨ % يلجئون إلى عرف الجماعة وتقاليد العشيرة و نسبة ٦٢ % يلجئون إلى دوائر الدولة من المنطقة الحضرية [٢] .

---

[١] اسماعيل ، نبيل نعمان ، الجرائم الاقتصادية في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

[٢] رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ١٩٨٩ ، الجدول (١٦) ص ٢٠١ الجدول (٢٥) ص ٢٠٧

المثال الثاني

دراسة ذكرى جميل البناء الموسومة العائلة والأمن الاجتماعي دراسة ميدانية في مدينة بغداد فقد اوضحت هذة الدراسة في الجانب الميداني حول مسالة اهتمام العائلة الدائم بتعليم أبنائها حب الوطن والانتماء أليه إلى ذلك فمن مجموع (١٥٠) مبحوث كانت اجابتهم بنسبة (١٠٠%) ، وكذلك موضوع مدى اهتمام العائلة بتعليم أبنائها التضحية لاجل الوطن بحسب المنطقة السكنية وكانت النتائج بنسبة (١٠٠%) [١] .

فلا يجوز ان يتغير حب الوطن باشهر ولا سيما ان هذة الدراسة قد اتمت وحصل بعدها باشهر سقوط النظام وبالتالي القيام بالفرهود .

قد تحمل هاتين الدراستين مواصفات اغلب دراسات الشخصية العراقية حول موضوع الازدواجية التي تحدث عنها الدكتور علي الوردي في اغلب كتبه وابحاثة العلمية والتي تركز " بان الشعب العراقي شعب حائر فقد انفتح امامه طريقان متعاكسان وهو مضطر ان يسير فيهما في ان واحد ، فهو يمشي في هذا الطريق حينا ثم يعود ليمشي في الطريق الاخر حينا اخر " [٢]

ولنتتقل الى مسالة اخرى مهمة وهي قد يكون لها سببا في انتشار ظاهرة الانفلات السلوكي الا وهي مهمشوا المجتمع الذين ذكرناهم في الجانب الاقتصادي والان في الجانب الاجتماعي فهم الفئات المبعدة عن العملية الإنتاجية والاستهلاكية والمنتمون إلى فئات اجتماعية واسعة تضم حتى الفئات الوسطى التي أصبحت في كثير من البلدان العربية في حاجة إلى مساعدة اجتماعية بعد التدهور الذي عرفته وضعيتها الاقتصادية و الاجتماعية ، حيث تشكل الفئات الهامشية عالمًا واسعا يمتد عبر الشرائح المختلفة الرابضة في قاع المدينة ، وتنتشر في أماكن متعددة ، عالم له علاقاته ولغته ونمطه المعرفي والقيمي ، وأفراده خليط عجيب من العناصر الرثة المعدمة كليا والمحرومين والفقراء وممتهني الأنشطة غير الرسمية ، والمستخدمين ذوي الأجور المنخفضة والعاطلين عن العمل ،

---

[١] اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ٢٠٠٤ ، الجدول (٩٢) ص ٣٤٦ الجدول (٩٣) ص ٣٤٧ ، تم اللقاء مع صاحبة الدراسة وذكرت انها تعتبر سؤالها للمبحوثين هو حب الوطن وليس لشخص النظام السابق وبالتالي لا ينطبق سؤالها هذا على موضوع الازدواجية في الشخصية العراقية .

[٢] د. الوردي ، علي حسين ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢ .

والمتسولين وساكني الأحياء المتخلفة والأحداث والمتشردين وكل من يلتقط رزقه من قلب علاقات الشارع القذرة ، جغرافيا ينتشر على اتساع المدينة وان تركزت فعاليتهم في بؤر معينة ، لذلك يخترقون كل الشرائح ، ولكنهم يتركزون في الشريحة المدنية الدنيا ، أن الشواهد الواقعية تؤكد استمرار تنامي عدد العاطلين عن العمل والمحرومين والفقراء والمعدومين الذين يشغلون مساحات واسعة في البنى الطبقية للبلدان العربية وبضمنها العراق مما يزيد في تردي أوضاعهم الراهنة والمستقبلية في المجتمعات العربية [١] .

[١] اسماعيل ، قيرة ، مجتمع التهميش إلى أين ، مهمشو المدينة العربية أنموذجا ، مقال منشور في مجلة المستقبل العربي ، ع ٢٩٠ ، ٢٠٠٣ ، الشهر ٤ ، ص ٥٥ – ٥٦ .

المقترحات

بعد انتهائنا من هذه الدراسة وجب علينا وضع بعض المقترحات الايجابية التي قد تحد من انتشار وتكرار ظاهرة الانفلات السلوكي (الفرهود) في المجتمع العراقي ونأمل ان تصل هذه المقترحات الى الحكومة الجديدة المنتخبة من قبل الشعب العراقي كما نأمل ان تأخذ بها :

١- استحداث مادة تضاف الى مناهج الدراسة الابتدائية والثانوية خاصة بـ تثبيت روح الانتماء الى الوطن والمواطنة .

٢- استخدام الاعلام لتصحيح الفكرة الشائعة بين بعض فئات المجتمع بان الممتلكات العامة والثروة الوطنية هي ملك الشعب وليست ملك الرئيس والمقربين له .

٣- لتحقيق العدالة ارتأي تعليم افراد المجتمع احترام القانون .

٤- وجوب اعادة النظر في التفاوت بين دخول المواطنين بصورة عامة .

٥- وجوب اعادة النظر بتحسين دخول وحياة الفئات ذات الدخول القليلة .

٦- الاسراع من تحقيق محاربة البطالة .

الخلاصة

في نهاية هذة الدراسة نصل الى بعض من الاسباب التي قد تكون هي الدافع الاساسي لقيام بعض افراد المجمتع العراقي بظاهرة الانفلات السلوكي الفرهود عقب غياب القانون وتوقفه بسبب الاظطرابات السياسية التي مرت على العراق

١- صفة الغزو وما تبعها من حالات السلب والنهب والفرهود وهي الصفات البدوية المؤثرة في بعض افراد المجمتع العراقي على مر العصور
٢- الاظطرابات السياسية التي مرت على العراق منذ العصور الاسلامية حتى يومنا هذا ساعدت بشكل واخر على انعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم وبالتالي كل من الطرفين يتحين الفرصة للانقضاض على الاخر وباي طريقة كانت شرعية ام غير شرعية .
٣- الرغبات المكبوتة والسخط الاجتماعي والسياسي الموجود داخل كل انسان من رغبات محرومة او غير مقبولة اجتماعيا ، فهو يخجل ان يظهرها ويحاول ان يكبتها في اعماق نفسه ولكنها تحاول ان تظهر بمظهرها الحقيقي في انتظار الفرصة المناسبة لها فغياب القانون عقب سقوط الحكومة في العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ ادى الى اظهار بعض هذة الرغبات لدى بعض افراد المجمتع العراقي للقيام بالفرهود بانواعه
٤- الخلل في العدالة الاجتماعية في المجتمع العراقي ، فقد كانت ثروات النفط توزع حسب مزاج الحاكم في العراق فضلا عن وجود فئات من العسكريين في الدولة لهم ميزات خاصة تميزهم عن باقي افراد المجتمع مع التنكيل بباقي الفئات الكادحة منها او المتعلمة مما نشأت فئات المهمشين البعيدين عن العملية الانتاجية والناقمين على السلطة الحاكمة .
٥- انتشار ثقافة العنف بسبب عسكرة المجمتع العراقي مما سبب التوتر العام الذي ساد المجمتع العراقي بسبب التعايش مع الحروب التي مرت على العراق والتنازع واستخدام اسلوب القوة واستعراضها .

٦- فقدان فرص التعليم بالنسبة لكثير من فئات المجتمع العراقي ولا سيما اثناء زمن الحروب التي مرت على المجتمع العراقي .

٧- حاجة الحروب الى وقود من البشر وهم العسكريون من فئات الشباب خاصة .

٨- تدني المستوى المعاشي للفرد العراقي بسبب توجهات الدولة العسكرية وانشغالها بالحروب ، الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق ابان عقد تسعينات القرن العشرين وما صاحبه من ويلات ذكرناها في صفحات هذة الدارسة .

٩- تفشي حالة البطالة وبشكل ملفت للنظر بالنسبة لفئات المجتمع الذين تم تسريحهم بعد الحروب التي خاضها العراق فضلا عن المعوقين الذين يصعب تكيفهم مع الحياة الاجتماعية بسبب انعدام البرامج الاجتماعية المناسبة لهم .

١٠- تقوية الجانب العشائري من جانب السلطة ، فبعد الغاء قانون العشائر تم اعادته بصورة غير رسمية اعتباطا والعمل به لغرض تقوية صفات العشيرة في جوانبها الايجابية (الكرم الشجاعة ، النخوة ، .....) وبالمقابل تقوية الجانب السلبي منها في صفات (الغزو ، السلب ، النهب ....).

١١- حدثت ظاهرة الفرهود في العراق في التاريخ الحديث كما بينتها هذه الدراسة بشكل بسيط في الاعوام (١٩١٤ ، ١٩١٧ ، ١٩٣٥ ، ١٩٤١ ، ١٩٥٨ ١٩٥٩ ، ١٩٩١ ، ٢٠٠٣) فالفرهود الذي حصل في سنوات تحت الخمسينات كان بدافع القضاء على المحتل الإنكليزي بينما الفرهود الذي حصل بعد ذلك قد يكون مخططا له من قبل جهات منظمة للقيام به وانه ليس عملا اعتباطيا .

المصادر

القران الكريم

الكتب

١- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٦ م) المقدمة .

٢- د . ابراهيم ، اكرم نشأت ، علم النفس الجنائي ، عمان ، د . ت .

٣- السيد ، محمود سلطان ، دراسات في التربية والمجتمع ، دار المعارف الطبعة الثانية ، الجزء الاول ، مصر ، ١٩٧٥ .

٤- اسود ، عبد الرزاق ، موسوعة العراق السياسية ، الدار العربية للموسوعات بيروت ، ١٩٨٦ ، الطبعة الاولى ، المجلد الثاني .

٥- بشير ، اقبال محمد ، ديناميكية العلاقات الاسرية ، المكتب الجامعي الاسكندرية ، د . ت .

٦- د . البراك ، فاضل ، دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١ ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٧- توفيق ، سمير خيري ، مبدأ سيادة القانون ، وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٨- د. الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ، دار النشر المغربية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ .

٩- خليل ، محسن ، النظم السياسية والدستور اللبناني ، دار النهضة العربية بيروت ، د . ت .

١٠- د . الجابري ، خالد فرج ، دور مؤسسات الضبط في الامن الاجتماعي ، بغداد بيت الحكمة ، ١٩٩٧ .

١١- د . الجميلي ، فتحية عبد الغني ، الجريمة والمجتمع ، عمان ، ٢٠٠٢ .

١٢- د. الحسن ، احسان محمد ، التصنيع وتغير المجتمع ، دار الرشيد للنشر بغداد ، ١٩٨١ .

١٣- د. الحسن ، احسان محمد ، علم الاجتماع العسكري ، جامعة الموصل ١٩٨٣ .

١٤- د. حسن ، عبد الباسط محمد ، اصول البحث الاجتماعي ، القاهرة ، مطبعة الوهبة ، ١٩٨٢ .

١٥- د . حسن ، عبد الباسط محمد ، علم الاجتماع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٢ .

١٦- الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ الوزارات العراقية ، مطبعة دار الكتاب بيروت ، ١٩٧٤ .

١٧- خضر ، احمد ابراهيم ، علم الاجتماع العسكري ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٨- د . الخشاب ، مصطفى ، علم الاجتماع العائلي ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

١٩- الدروبي ، ابراهيم ، البغداديون اخبارهم ومجالسهم ، بغداد ، ١٩ .

٢٠- د . الدوري ، عدنان ، جنوح الاحداث ، الكويت ، ١٩٨٤ .

٢١- د . الرحيم ، احمد حسن ، صلة المدرسة بالمجتمع ، النجف الاشرف ١٩٦٧ .

٢٢- الزبيدي ، ليث عبد الحسين ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، بغداد ١٩٨١ .

٢٣- د . زهران ، حامد عبد السلام ، علم النفس الاجتماعي ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٢٤- د. سلامة ، احمد عبد العزيز واخرون ، علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، د . ت .

٢٥- د. سيد ، احمد عبد السميع ، دراسات في علم الاجتماع التربوي ، الاسكندرية ١٩٩٣ .

٢٦- الصفدي ، سفيان ، الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، عمان ، ٢٠٠٠ .

٢٧- العامري ، ثامر عبد الحسن ، موسوعة العشائر العراقية ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، الطبعة الاولى ، الجزء الرابع .

٢٨- العزاوي ، عباس ، العراق بين احتلالين ، بغداد ، ١٩ ، الجزء الثامن .

٢٩- عزيز ، رياض ، المشكلات السياسية في العالم الثالث ،
٣٠- د . العاني ، حسان ، الانظمة السياسية المقارنة ، بغداد ، ١٩٨٠ .
٣١- د . عفيفي ، عبد الهادي ، التربية والتغير الثقافي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
٣٢- عواد ، كوركيس ، معجم المؤلفين ، بغداد ، ١٩ ، الجزء الثاني .
٣٣- د . غباري ، محمد سلامة ، الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .
٣٤- د. فرح ، محمد سعيد ، البناء الاجتماعي والشخصية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .
٣٥- الفارس ، عبد الرزاق ، الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ٢٠٠١ .
٣٦- فتح الله ، سعيد ، اثر الحصار الاقتصادي على ميزانية الاسرة العراقية ، د . ت .
٣٧- قرانجي ، فؤاد سعيد ، المكتبة الوطنية وافاق تطورها ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٧٧ .
٣٨- د . محمد ، عوض ، مبادئ علم الاجرام ، مؤسسة الثقافية الجامعية الاسكندرية ، ١٩٨٠ .
٣٩- محمد ، علي محمد واخرون ، دراسات في علم الاجتماع الطبي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .
٤٠- معروف ، خلدون ناجي ، الاقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١-١٩٥٢ الدار العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩ .
٤١- مورتنس ، رونالد ج ، التوجيه في المدرسة ، ترجمة ابراهيم حافظ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت .
٤٢- الناصري ، عقيل عبد الكريم قاسم في يومه الاخير ، مؤسسة الدراسات العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٤٣- د . النوري ، قيس ، افاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية ، بغداد ١٩٩٠ .
٤٤- الهموندي ، عبد الستار ، مجاز الدم في الموصل ، د . ت .

٤٥- وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، الطبعة الثالثة ، المجلد السابع ، بيروت ، ١٩٧١ .
٤٦- د . وطفة ، علي اسعد ، السلطة واشكالية التسلط في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٤٧- د. الوردي ، علي حسين ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، المكتبة الحيدرية ، الطبعة الاولى ، ايران ، ١٩٩٦ .
٤٨- د. الوردي ، علي حسين ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد الجزء الرابع ، ١٩٧٧ .
٤٩- د. الوردي ، علي حسين ، في الطبيعة البشرية ، عمان ، الاردن ، ١٩٩٦ .
٥٠- ياسين ، باقر ، تاريخ العنف الدموي في العراق ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٩٩ .
٥١- ياغي ، اسماعيل احمد ، حركة رشيد عالي الكيلاني / دراسة في تطور الحركة الوطنية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٥٢ - مجموعة القوانين والانظمة لسنة ١٩٦١ ، وزارة العدل ، الجمهورية العراقية القسم الاول ، ١٩٦٢ .

الدوريات

١- احمد ، احمد يوسف ، النظام العربي وتحدي البقاء ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩١ ، ايار ، ٢٠٠٣ .

٢- اسماعيل ، قيرة ، مجتمع التهميش إلى أين ، مهمشو المدينة العربية أنموذجا ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٠ ، نيسان ، ٢٠٠٣ .

٣- بلقيز ، عبد الاله ، المشروع الممتنع : التفتيت في الغزوة الكولونيالية للعراق مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩١ ، ايار ، ٢٠٠٣ .

٤- تالبوت ، آن ، الحكومة الأمريكية متورطة في سرقة للكنوز الفنية العراقية مجلة المستقبل العربي العدد ٥ ، ٢٠٠٣ .

٥- جعفر ، ضياء جعفر ، نماذج من جهود إعادة الأعمار العراقية أثناء الفترة من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٢ ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٩ ، ٢٠٠٣ .

٦- د. حافظ ، ناهدة عبد الكريم ، سملسر ونظرية السلوك الجمعي ، مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد السنة ٢٠٠٤ .

٧- حسن ، محمود شمال ، النسق القيمي وخطاب الازمة الاقتصادية ، مجلة المستقبل العربي العدد ٢٩٨ ، كانون الاول ، ٢٠٠٣ .

٨- د. الحسن ، احسان محمد ، دور الاستقرار الاسري في تعزيز القدرات القتالية الاتحاد العام لنساء العراق ، بغداد ، ١٩٨٤ .

٩- الحسني ، باسل جودت ، السياسات الاقتصادية في العراق الواقع والراهن مع نظرة مستقبلية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٥ ، ايلول ، ٢٠٠٣ .

١٠- د. حسين ، قاسم ، سيكولوجية الفرهود في السلوك الجمعي (بغداد – ٩ نيسان نموذجا) مجلة النبأ ، العدد ٧٥ شباط ، ٢٠٠٥ .

١١- الربايعة ، احمد ، اثر العوامل الاجتماعية في الدوافع الى ارتكاب الجريمة ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد ٣ ، العدد ١ ، ١٩٨٨ .

١٢- سلمان ، احمد داود ، الجيش الشعبي ، مجلة الجيش الشعبي ، العدد ١ السنة الاولى تموز ١٩٧٧ .

١٣- شعبان ، عبد الحسين ، المشهد العراقي الراهن : الاحتلال وتوابعه في ضوء القانون الدولي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٧ ، تشرين الثاني ، ٢٠٠٣ .

١٤- الطاهر ، عبد الجليل ، القوقعية والقلق في الشخصية العراقية ، مقال في مجلة المثقف العربي ، العدد ١١ ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٦٩ .

١٥- د. العاني ، نوري عبد الحميد ، (ظاهرة الفرهود) دراسة تاريخية عن النهب والسلب والتخريب في المجتمع ، مجلة الحكمة ، العدد ٣٤ ، أيلول ، ٢٠٠٣ بيت الحكمة ، بغداد .

١٦- فرانكي ، رند رحيم ، مراقبة الديمقراطية في العراق : تقرير رقم واحد عن الوضع في العراق أيلول سبتمبر ٢٠٠٣ ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٧ ، تشرين الثاني ، ٢٩٩٣ .

١٧- القصاب ، عبد الوهاب ، الجيش ، مجلة المستقبل العربي العدد ٣٠٥ ، ٢٠٠٤

١٨- كوردسمان ، انتوني هـ ، الدورس الفورية لحرب العراق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٢ ، حزيران ، ٢٠٠٣ .

١٩- د. مصطفى ، عدنان ياسين ، التنمية الاجتماعية في العراق : المسارات والافاق مع التركيز على شبكات الامان الاجتماعي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٥ ٢٠٠٣ .

٢٠- د. مصطفى ، عدنان ياسين ، السلوك المنحرف في ظروف الازمات ، بحث منشورة ضمن سلسلة المائدة الحرة بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٩ .

٢١- المقداي ، كاظم ، التأثيرات الصحية والبيئة للحرب على العراق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٠ ، شباط ، ٢٠٠٤ .

٢٢- ياسين ، صباح ، تفكيك البنى الحزبية العراقية في اطار المشروع الامريكي مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٠ ، سباط ، ٢٠٠٤ .

٢٣- ياسين ، صباح ، في ظل الاحتلال الأمريكي : العشائر العراقية ثقل الحضور ومخطط الاحتواء ، المستقبل العربي ، العدد ٣٠٢ ، نيسان ، ٢٠٠٤ .

٢٤- الاثار السياسية – الاجتماعية للحرب ضد العراق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٥ ، ايلول ، ٢٠٠٣ .

٢٥ – أسلحة الدمار الشامل الاتهامات والحقائق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٠٦ اب ، ٢٠٠٤ .

المصادر من الانترنت

١ – وماذا عن الفرهود الأمريكي ، http://www.rezar.com .

٢ – اتفاقية اكناري /http://alharamain.co.uk .

٣ – اسماؤنا ومعاتيها في الساحة الادبية ، http://www.alsaha.com .
٤ – الحاكم والمحكوم في العراق http: //www.alwaten.com .
٥ – ترتبي أوراق احتلال العراق http:/www.alqoot.com .
٦ – يهود العراق http://almoslim.net .
٧ – معلومات عن الرميثة http://www.geocities.com
٨ – الفرهود http://www .arbynet.com
٩ – موجز تاريخ العراق الحديث http://nahrain com
١٠ – التغلغل الإسرائيلي في العراق http://www.aljazeera.net
١١ – قصة الوجود اليهودي في العراق عبر التاريخ و دوافع عودتهم مع الغزو http://www almujtamaa-mag.com.
١٢ – تاريخ اليهود في العراق http://www . Almoslim.net
١٣ – حركة رشيد عالي http://www .thefreesite.com
١٤ – قصة البعث في العراق http://www.latef
١٥ – http://www moqatel.com. .
. .com - 16www.arabtimes .
١٧ – http://www.thefreesite.com
١٨ – ثورة ١٩٥٨ في العراق http://www .moqatel.com
١٩ – ثورة تموز ١٩٥٨ وانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ http:// www.nahrain.com .
٢٠ – بيانات اقتصادية http://www.moqatel.com .
٢١ – ترتبي أوراق احتلال العراق http:/www.alqoot.com
٢٢ – موسوعة النهرين ، موجز تاريخ العراق الحديث http://nahran.com .
٢٣ – الدولة والمجتمع ، http//www.freeservers.com
٢٤ – المحطات الكبرى في عهد صدام http://www.al.watan.com
٢٥ – تواريخ ذات دلالة http://www..eqxpty.com
٢٦ – تداعيات المشهد العراقي صور من الداخل
٢٧ – http://www.albayan.magazine.com

٢٨ – وسقط صدام ، http://www.islamtoday.net .
٢٩ – اسرقوا كل ثروات العراق لكن اتركوا لنا أطفال أصحاء http://nahrain.com .
٣٠ – الحصار لم يبدأ على العراق بحلول أزمة الكويت ولم ينته بعد انسحابه منه http://the-amazing.us31
٣١ – عماد ، الحصارات المفروضة على العراق في التاريخ ، http://the-amazing.us
٣٢ – عنف الحصار واثره على تعليم الأطفال في العراق ، مقالة منشورة عبر ٣٣ – الإنترنت على الموقع http://www.amanjordan
٣٤ – السجل الزمني للعراق في عهد صدام http://nes.bbc.co.uk .
٣٥ – إعلان الانتفاضة الشعبانية www.ius.20m.com .
٣٦ – الانتفاضة الشعبانية دروس وعبر www.kitabat.com.
٣٧ – الانتفاضة الشعبانية www.dabaath.org .
٣٨ – السجل الزمني للعراق في عهد صدام http://nes.bbc.co.uk .
٣٩ – إعلان الانتفاضة الشعبانية www.ius.20m.com .
٤٠ – الانتفاضة الشعبانية دروس وعبر www.kitabat.com.
٤١ – الانتفاضة الشعبانية مقالة www.dabaath.org .
٤٢ – الانتفاضة في كردستان http://www.iraq4all.dk .
٤٣ – الطفل العراقي مهده لحد ، http://www iraqcenter.com
٤٤ – اتفاقية النفط مقابيل الدواء والمعاناة الحقيقية للشعب العراقي http://iraqcenter.com45
٤٦ – بغداد عروس تنتظر السبي http://www.albayan.com
٤٧ – موقف القوات الأمريكية والبريطانية من الأمن في العراق http://www.aliazeera.
٤٨ – الاهالي يستقبلون المارينز بالترحيب والورود وانهيار كامل للقيادة العراقية http://www.alwatan.com
٤٩ – أين أسلحة الدمار الشامل http://www.aldaawah.com .
٥٠ – القطاع المصرفي في العراقي http://www.aljazeera.net .

٥١ – محنة ضحايا الإيدز وأهاليهم في عهد صدام ، http://www.alwatan.com .
٥٢ – نـزلاء مستشـفى المجـانين يـروون تجـربتهم مـع اللصـوص والمجتمـع http://www.alwatan.com .
٥٣ – العنف في العقل العراقي ، www.islamlcdawaparty.
٥٤ – تجاهـل التلـوث البيئـي فـي العـراق سـتكون لـه نتـائج كارثيـة http://www.iraqisciencejournal.com .
٥٥ – كارثة توازي حرق مكتبة الإسكندرية قبل الفي سنة شريعة حمورابي وكنوز فريدة ضاعت في فوضى العراق ahlawasahla.com
٥٦ – تـاريخ العـراق فـي عـداد المفقـودين وضـحايا العـدوان الانكلـو امريكـي http://www.thisissyria.net
٥٧ – التغلغـل اليهـودي فـي العـراق واحـلام اسـرائيل الكبـرى http://alquds.masrawy.com .
٥٨ – الهاشمي ، حميد ، عسكرة المجتمع العراقي رؤية انثروبولوجية في مظاهرها وآثارها السلبية ، مقال منشور عبر الانترنت على الموقع http://www.iraqiwriter.com .
٥٩ – مقالة منشور عبر الانترنت على الموقع http://www.iraqiwriter.com
٦٠ – دوركهـايم والانـومي ، مقالـة منشـورة عبـر شـبكة الانترنـت علـى الموقـع http://www.hewtt.norfolk.suh.uk .
٦١ – قـوات الامـن مقـال منشـور عبـر شـبكة الانترنـت علـى الموقـع http://arabic.cnn.com .
٦٢ – العراق بين الحرية والمستنقعات مقال منشور عبر شبكة الانترنت على الموقع http://www.alwatan.com .
٦٣ – الحبوبي ، احمد ، ليلة الهرير في قصر النهاية مقال منشور عبر الانترنت على الموقع www.iraq4 .all.dk .
٦٤ – الحمداني ، حامد ، ثورة ١٤ تموز ١٩٨٥ مقال منشور عبر الانترنت على الموقع www.iraqiwriter.com .

الرسائل

١ – كـاظم ، علـي جـواد ، الدولـة والمجتمـع فـي العـراق المعاصـر ، دراسـة تحليليـة فـي سوسيولوجيا المؤسسة السياسية في العراق (١٩٢١–٢٠٠٣) اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع .

٢ – الكبيسي ، احمد فرحان ، الأمن الاجتماعي في تحصين وتماسك المجتمع العراقي اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، جامعة بغداد قسم الاجتماع ، ١٩٩٥ .
٣ – القصيري ، انعام جلال ، التضامن الاجتماعي في الاسرة العراقية خلال فترة الحرب دارسة ميدانية في مدينة بغداد ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٨
٤ – المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، عمل الاطفال في الشوارع دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ٢٠٠٤ .
٥ – اسماعيل ، نبيل نعمان ، الجرائم الاقتصادية في العراق / دراسة اجتماعية تحليلية كلية الاداب ، جامعة بغداد قسم الاجتماع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ١٩٩٢.
٦ – الدراجي ، قاسم محمد كمر حسين ، الاسرة والضبط الاجتماعي ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، بغداد ، ١٩٩٦ .
٧ – عدوان ، سوسن نايف ، التراتب والحراك الاجتماعي في مدينة بغداد من خمسينات القرن وحتى ثمانيناته ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد قسم الاجتماع ، بغداد ، ١٩٩٦ .
٨ – المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، العوامل المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة المتوسطة ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، بغداد ، ٢٠٠٠ .
٩ – الخفاجي ، ظافر كاظم عبد ، الاثار الاجتماعية للحصار الاقتصادي على طلبة المرحلة الثانوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، بغداد ، ١٩٩٦ .
١٠ – الربيعي ، فريد علي امين ، اثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على الجريمة في العراق / دراسة اجتماعية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، بغداد ، ١٩٩٨ .

١١ – دارة ، فريدة جاسم ، المشكلات السلوكية في الوسط الجامعي بعد العدوان الثلاثيني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع بغداد ، ١٩٩٥ .

١٢ – اللامي ، حسن عبد علي ، كتابات واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسين رسالة ماجستير ، غير منشورة ، قسم علم المكتبات ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ٢٠٠٢ .

١٣ – ال مانع ، فلاح حسن ، المجتمع المدني في العراق دراسة تحليلية في علم الاجتماع ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع بغداد ، ٢٠٠٤ .

١٤ – جنزيل ، عبد السلام نعمة ، ثقافة السجن دراسة انثربولوجية / دراسة انثربولوجية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، قسم الاجتماع بغداد ، ٢٠٠٣ .

١٥ – حسين ، احمد حسن ، الانعكاسات الاجتماعية لارتفاع المستوى المعاشي في العراق / دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة بغداد ، قسم الاجتماع ، ١٩٨٥ .

المعاجم والقواميس

١– ابن منظور ، محمد بن كرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب المحيط .

٢ – ابن زكريا ، ابي الحسن احمد (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة اعتنى به محمد عوض مرعب واخرون ، بيروت ، ٢٠٠١ .

٣ – بدوي ، احمد زكي ، معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٤ – دهخدا ، علي اكبر ، لغة نامة ، ١٣٢٥ شمسي فارسي ، طهران ، باللغة الفارسية .

٥ – د . سليم ، شاكر مصطفى ، قاموس الانثربولوجيا ، الكويت ، ١٩٨١ .
٦ – القاموس تركي – تركي ، وزارة التربية والتعليم ، انقرة ، ١٩٩٥ .

الصحف

١– جريدة الصباح عددها الصادر يوم السبت ٢٠٠٤/٥/٣١
٢ – الناصر ، يوسف ، من هو العراقي ، قراءة في كتاب ، مقالة منشورة في جريدة المؤتمر ، ٣٠ نيسان ، ٢٠٠٣ .
٣ – جريدة الثورة ، ع ١٠١٢٠ في ٤ تشرين الاول ، ٢٠٠٠
٤ – جريدة الوقائع العراقية ، العدد ٣٨٥٨ في ٢٥ كانون الاول

THE ABSTRACT

Theis study includes four chapters, the first one was drawing the frame of the study and the aim of studying such disobedient Behavior.
The second chapter was explaining the historical event which was happed during several political troubles in Iraq, it was concentrate especially on the period of dominating the British troops to Iraq that's after the first world war 1914

The third chapter was describing Iraq society during the rejeem of the Baath part which started from 1968 to April 4 Th 2003 the date of collapsing that rejeem The researcher explaing the negative situations which was exist during that time such as economic , situation , especially the economic embargo period from 1991- 2003 .

The fourth chapter, the researcher brought some scientific theories explaining the relation ship between looting and these

theories, "such as criminological, and collective behavior as well. Finally, the researcher brought some suggestion to other researchers, hopping that it will control this kind of behavior.

The looting in Iraq as reputing phenomena through the disregarded of the Iraqi society Analatical stud for this phenomenon

A Thesis Submitted by

Hussein Ail Qais Mohammed AL-Qaisi

To the Council of college of Arts / University of Baghdad as partial fulfillment to the Requirements of Master Degree of Arts in Sociology

Supervised by

UNDER THE SUPERVISION OF

PROFESSORE DR. FATHIYYA ABDUL GHANI AL-JUMAILI